ق والقرآن المجيد

مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني تصدر عن
قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة
العدد ٥٤/ الفصل الرابع / السنة الخامسة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام:
مَن قرأ القرآن وهو شابٌّ مؤمنٌ اختلط القرآنُ بلحمه ودمه،
وجعله الله عزّ وجلّ مع السّفَرَة الكرام البرَرَة

قسم الشؤون الفكرية والإعلام
العتبة الكاظمية المقدسة
مجلة فصلية تهتم بالشأن القرآني
العدد ٥٤ - الفصل الرابع
السنة الخامسة/ ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية
ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣
زورونا: www.aljawadain.org

١٤

٨ العلماء ينبذون نظرية التطور
١٨ الإنفاق في المنظور القرآني
٢٤ الشخصية في القرآن
٢٦ الرفض القرآني للكذب
٣٠ حديث الملائكة للمرأة في قصص القرآن
٣٨ الشيخ محمود الكرخي في ذمّة الله

رئيس التحرير
الشيخ عدي الكاظمي

سكرتير التحرير
الشيخ نجم عبد الرضا

السلامة الفكرية
الشيخ عماد الكاظمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

التصميم والإخراج الفني
عبدالله جاسم محمد

كلمة العدد

متى يختلط القرآن باللحم والدم؟

من دواعي السرور الذي يشوبه الشرف والافتخار أن نكون في هذه الرحاب الطاهرة بجوار الإمامين الكاظمين الجوادين عليهما السلام خَدَمةً للقرآن والقرآنيين في ما مضى من أيام شهر رمضان المبارك ولياليه، ليحتضن الصغار قبل الكبار ومن كلا الجنسين، فما أروع هذا اللقاء الذي يترجم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال: "أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبِّ نبيكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءةِ القرآن".. كما نأمل أن يكون مصداقا لقوله صلى الله عليه وآله: "ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلّا نزلت عليهمُ السَّكينة، وغَشِيَتهمُ الرحمة، وحَفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده"، ولا ننسى هنا فضل المعلمين والمعلمات وجزاءهم عند الله تعالى، إذ رُوِيَ عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: (إذا قال المعلم للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم). وهذا دليل على ما لتعليم القرآن من أجر عظيم وأثر كبير على المعلّم والمتعلّم ووالديه، فهنيئا لهم مشاركتهم في الختمة القرآنية والجلسات التعليمية التي أقيمت طيلة الشهر الفضيل، وهنيئا لأولياء الأمور الذين شجّعوا فلذات أكبادهم على الإلتحاق بهذه النشاطات القرآنية، فعندما يتربى الطفل على حب القرآن وتعلمه وتلاوته سينعكس ذلك على أخلاقه وسلوكه حتى يكون مصداقا لحديث الإمام الصادق عليه السلام عندما قال: "مَن قرأ القرآن وهو شابٌ مؤمنٌ اختلط القرآنُ بلحمه ودمه، وجعله الله عزّ وجلّ مع السّفَرَة الكرام البرَرَة".

جلال علي محمد

علوم القرآن الكريم
في تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي
الإنزال والتنزيل
-القسم الأول-

النزول هو الورود على المحل من العلو، والفرق بين الإنزال والتنزيل أنَّ الإنزال دفعي والتنزيل تدريجي، والقرآن اسم للكتاب المنزل على نبيه محمد ﷺ لكونه مقروءاً كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، ويطلق على مجموع الكتاب وعلى أبعاضه، والآية تدل على نزول القرآن في شهر رمضان: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[2]، وقد قال تعالى: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا﴾[3]، وهو ظاهر في نزوله تدريجًا في مجموع مدة الدعوة وهي ثلاث وعشرون سنة تقريباً، والمتواتر من التاريخ يدل على ذلك، ولذلك ربما استشكل عليه بالتنافي بين الآيتين، وربما أجيب عنه: بأنه نزل دفعة على سماء الدنيا في شهر رمضان، ثم نزل على رسول الله ﷺ نجومًا وعلى مكث في مدة ثلاث وعشرين سنة مجموع مدة الدعوة وهذا جواب مأخوذ من الروايات ... وقد أورد عليه: بأن تعقيب قوله تعالى: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ بقوله: ﴿هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ﴾، لا يساعد على ذلك إذ لا معنى لبقائه على وصف الهداية والفرقان في السماء مدة سنين، وأجيب: بأنَّ كونه هاديًا من شأنه أنْ يهدي من يحتاج إلى هدايته من الضلال، وفارقًا إذا التبس حق بباطل لا ينافي بقاءه مدة على حال الشأنية من غير فعلية التأثير حتى يحل أجله ويحين حينه، ولهذا نظائر وأمثال في القوانين المدنية المنتظمة التي كلما حان حين مادة من موادها أجريت وخرجت من القوة إلى الفعل، والحق أنَّ حكم القوانين والدساتير غير حكم الخطابات التي لا يستقيم أن تتقدم على مقام التخاطب ولو زمانًا يسيرًا، وفي القرآن آيات كثيرة من هذا القبيل كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَتَرَكُوكَ قائِماً﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[6]، على أنَّ في القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ولا معنى لاجتماعهما في زمان بحسب النزول، وربما أجيب عن الإشكال أنَّ المراد من نزول القرآن في شهر رمضان أنَّ أول ما نزل منه نزل فيه، ويرد عليه أنَّ المشهور عندهم أنَّ النبي ﷺ إنما بعث بالقرآن، وقد بعث اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، وبينه وبين رمضان أكثر من ثلاثين يوما وكيف تخلو البعثة في هذه المدة من نزول القرآن، على أنَّ أول سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾، تشهد أنَّها أول سورة نزلت وأنَّها نزلت بمصاحبة البعثة، وكذا سورة المدثر تشهد أنَّها نزلت في أول الدعوة، وكيف كان فمن المستبعد جدًّا أنْ تكون أول آية نزلت في شهر رمضان، على أن قوله تعالى: ﴿أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، غير صريح الدلالة على أنَّ المراد بالقرآن أول نازل منه ولا قرينة تدل عليه في الكلام، فحمله عليه تفسير من غير دليل، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَالْكِتابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[7]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[8]، فإنَّ ظاهر هذه الآيات لا يلائم كون المراد من إنزال القرآن أول إنزاله أو إنزال أول بعض من أبعاضه ولا قرينة في الكلام تدل على ذلك، والذي يعطيه التدبر في آيات الكتاب أمر آخَر فإنَّ الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه إنما عبَّرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدال على الدفعة دون التنزيل كقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[9] وقوله تعالى: ﴿حم * وَالْكِتابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾[10]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[11]، واعتبار الدفعة إما بلحاظ اعتبار المجموع في الكتاب أو البعض النازل منه كقوله تعالى: ﴿كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ﴾[12] فإنَّ المطر إنما ينزل تدريجًا، لكن النظر ها هنا معطوف إلى أخذه مجموعًا واحدًا، ولذلك عبَّر عنه بالإنزال دون التنزيل، وكقوله تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ﴾[13]، وإما لكون الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي الذي يقضى فيه بالتفرق والتفصيل والانبساط والتدريج هو المصحح لكونه واحدًا غير تدريجي ونازلا بالإنزال دون التنزيل.

١- سورة الزخرف، الآية: ٣.
٢- سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
٣- سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.
٤- سورة المجادلة، الآية: ١.
٥- سورة الجمعة، الآية: ١١.
٦- سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.
٧- سورة الدخان، الآية: ٣.
٨- سورة القدر، الآية: ١.
٩- سورة البقرة، الآية: ١٨٥.
١٠- سورة الدخان، الآية ٣.
١١- سورة القدر، الآية: ١.
١٢- سورة يونس، الآية: ٢٤.
١٣- سورة يونس، الآية: ٢٤.

الميزان
في تفسير القرآن
تأليف
العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
عليه تحية ورضوانه وغفرانه
تقديم
الشيخ الياد بن رسمان
تقديم آية
السيد سليمان الحيدري
عليه رحمة الله

تفريع على صفة القدرة

الشيخ قاسم الخفاجي

هل أن قدرة الله تعالى نافذة في الأشياء وتمنع قدرة الإنسان في النفوذ في الأشياء؟ وبعبارة أخرى هل الله جل شأنه الفاعل الحقيقي وآثار الفعل تُنسب إلى الإنسان خيره وشره؟

نقول: إننا بالوجدان نحكم ببطلان هذا المعنى؛ وذلك لأنك لو رماك أحد بحجر فأنت لا تعاتب الحجر وتقول له لِمَ ضربتني، لعلمك أن الحجر مسلوب الإرادة والاختيار – القدرة -، وتعاتب الرامي؛ لأنه بإرادته واختياره رماك، وكذا الكلام في قدرة الله تعالى فإنه وإن كان قادراً على كل شيء إلا أن قدرته لا تلغي قدرة الإنسان، بل إنه جل شأنه خلق الإنسان وأعطاه القدرة وأودعه الإرادة وقابلية الاختيار، وهذا المعنى لا يمكن إنكاره، وكلنا يدرك أنه قادر على إيقاع الفعل الكذائي وترك الفعل الكذائي، بخلاف الجماد – الحجر - فإنه لا يقدر على ذلك، وليس له ترك فعل أو فعله، أو ترجيح طرف على آخر.

وبهذا البيان الموجز يظهر بطلان مذهب (المجبرة)، الفرقة التي تقول إن صدور أي فعل هو من الله تعالى، وإنه فاعل الأفعال حقيقة، والإنسان كالجمادات فكما أنها ليس لها أي إرادة ولا تتحرّك إلا بمحرِّك، كذلك الإنسان لا يتحرّك هو في الحقيقة ولا يصدر منه أي فعل اختياراً سواء كان الفعل قبيحاً أم حسناً.

نعم، هكذا مذهب يُخالف صريح القرآن في الوعد والوعيد ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾[1]، ومدح الأبرار والمتقين والمحسنين ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[2] ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[3] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[4]، وذمّ الكفار والمنافقين والفاسقين﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[5]، وما ذكره الله سبحانه وتعالى من قول أهل الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهذا وما كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا

١- سورة الجاثية الآيات ٢٨-٣١.
٢- سورة الإنسان الآية ٥.
٣- سورة المائدة الآية ٢٧.
٤- سورة التوبة الآية ١٢٠.
٥- سورة آل عمران الآية ٧٨.

الله﴾[6] أو قول أهل النار ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾[7].

وسؤال آخر، هل أقدر الله جل شأنه الإنسان وانعزل عن الإنسان وشؤونه وأرجَعَ كل الأمور وفوَّضها إليه؟

إنَّ القول بأن الله سبحانه وتعالى لمّا خلق الإنسان أعطاه قدرة وأغناه بها عنه تعالى قول باطل، وقد زعمت فرقة من المسلمين أن الإنسان مستقل في كل شؤونه، وهو يفعل ما يشاء ويريد ويقدّر، ولا يحتاج إليه جل شأنه ولا إلى حَول الله وقوته، وهو جل شأنه بمعزل عن شؤون الإنسان بعد تفويضها إليه، وهذا الفهم مردود بقاعدة ثابتة عند كل المتكلمين وهي القائلة بأن الممكن محتاج -في كل لحظة من لحظاته وفي كل آن من آناته - واجب الوجود وهو الله جل شأنه – وقد مرت في حلقات سابقة بيانها- ولتقريب صورة ما يقولون نشبّه الفكرة برجل ثري أعطى فقيراً مالاً وأمره بالتجارة لنفسه، فهذا الفقير بعد قبض المال لا يحتاج الثري بشيء، وعلى هذا فالله تعالى وإن كان قادرًا إلا أن العبد أيضًا قادر لا يحتاج إليه بعد ذلك، غاية الأمر أن الله قادر بذاته، والانسان قادر بالله سبحانه.

ولعل ما دفعهم وحملهم على هذا الاعتقاد هو صدور القبائح والمنكرات والسوء والفحشاء من الانسان فزعموا أنه لو لم يقولوا بتفويض الأمور إلى العبد لزم نسبة تلك الذنوب والقبائح إليه تعالى، فلأجل تنزيه الله عن ارتكاب الجرائم قالوا بأن الله فوّض الأمور إلى العباد ولا دخل له سبحانه في أمورهم أصلًا.

والحق إنَّ أفعال الإنسان من جهة هي أفعاله حقيقة وهو سببها الطبيعي، وهي تحت قدرته واختياره، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى وداخلة في سلطانه، لأنه هو مُفِيض الوجود ومعطيه، فلم يجبر الإنسان على أفعاله حتى يكون قد ظلمه في عقابه على المعاصي لأن للإنسان القدرة والاختيار فيما فعل، ولم يفوّض إليه خلق أفعاله حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه جل شأنه، بل له الخلق والحكم والأمر، وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد، وهذا المعنى مستوحى من قول إمامنا الصادق عليه السلام: (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين).

وهناك من الآيات القرآنية الشريفة الكثير ممن تصرّح ببطلان التفويض، يقول تعالى شأنه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[8] ويقول تبارك وتعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾[9].

ومنها قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول السيد حسين البروجردي: (ثمّ اعلم أنّ في هذه الآية الشريفة تحقيقًا للمنزلة بين المنزلتين، وإثباتًا للأمر بين الأمرين حيث أبطل بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ذهب الجبريّة الذين ينسبون الأفعال كلَّها إلى الله ويقولون: لا مؤثّر ولا فاعل في الوجود إلّا الله ... فأبطل مقالتهم بنسبة العبادة الّتي هي الخضوع والتذلّل إلى العبد، كما أبطل مقالة المفوّضة الذين يعزلون الله عن خلقه وعن ملكه بطلب المعونة منه، فإنّه يدلّ على افتقار العباد في عبادتهم وفي سائر حوائجهم ومهمّاتهم إلى معونته وتوفيقه وإمداده، بل في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى بطلان المذهبين معًا لدلالته على أنّ الطلب من العبد والمعونة من الله، فتحقّق أن لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين)[10].

٦- سورة الأعراف الآية ٤٣.

٧- سورة المؤمنون الآية ١٠٦.

٨- سورة الأنفال الآية ١٧.

٩- سورة التوبة الآية ١٤.

١٠- تفسير الصراط المستقيم للسيد حسين البروجردي ٥١٤/٣.

العلماء ينبذون نظرية التطور

بحث مستل من كتاب (نبي الأنبياء) للكاتب الباكستاني أحمد وهج التيمي
ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

كانت نظرية دارون تقول إنَّ أفراد أنواع مختلفة تنافست فيما بينها من أجل البقاء في الحياة، وإنه في خضمِّ هذا الصراع يتيح أي تنوع مكتسب لصاحبه في أنْ تكون له اليد العليا، وعليه فالأصلح هو الذي يبقى وغيره يهلك، ومن كُتب له البقاء سينقل التنوعات المفيدة إلى جيله اللاحق ليشكل هذا في نهاية المطاف تطور أنواعٍ جديدةٍ من الحياةً يصطلح عليها دارون اسم الانتخاب الطبيعي.

تثير فرضية دارون أعلاه التساؤلات الآتية:

١. من أين جاءت الأنواع المختلفة؟

٢. هل كان هناك أي تنافس على البقاء بين الأنواع المختلفة؟

٣. هل اكتسبت الأنواع أيَّ تنوُّعٍ مفيدٍ ونقلته إلى أجيالها؟

٤. هل للأنواع المختلفة أنْ تلتقي وتطوّر أنواعاً جديدة من الحياة؟

سأناقش هذه التساؤلات إنْ شاء الله باختصار وفقاً للبيانات القرآنية التي يعضدها العلم.

من أين جاءت الأنواع المختلفة؟

اعتاد الملحدون أنْ يفترضوا ويضللوا القارئ ويربكوه بطريقة تفكيرهم العشوائي، فعندما قال دارون "لقد تنافست الأنواع المختلفة فيما بينها على الحياة"، فقد شوَّش ذهن القارئ ليركز فقط على التنافس من أجل الحياة وهي تبدو وكأنها فكرة صحيحة، فنجد أنه ألهاهم عن التفكير في الكيفية التي وُجِدت بها الأشياء.

بالنسبة للتساؤل الأول، يخبرنا العلم أنَّ كوكبنا الأرضي كان جزءاً من الشمس، فهو كتلة غازيَّة انفصلت عن الشمس، وكانت كتلة منصهرة حارَّة مشتعلة، ونحن نعلم علم اليقين استحالة معيشة الأحياء على سطح الكتلة المنصهرة المشتعلة، ثم برد السطح العلوي وأصبح صلباً غير أنَّ الأرض كانت لم تزل عبارة عن مادة ميتة.

في حدود عام ١٧٨٠ قام قسٌّ إيطالي يدعى لازاريو سبالانزاني ختم عصائر خضروات متنوعة في دوارق زجاجية بعد أنْ قام بغليها، وبعد ترك المواد تبرد والانتظار لعدة أيام، لم يلحظ سبالانزاني وجود أي كائن حي، ولم يكشف وجوداً لها حتى الفحص المجهري، استنتج سبالانزاني من ذلك أنَّ سبب عدم نمو شيء في العصائر يعود إلى أنَّ الغليان قتل جميع الكائنات الحية التي قد تكون موجودة، وهكذا لم تكن هناك كائنات حية تكون سبباً في نشوء كائنات حية جديدة.

ولقد بيَّن العالم الفرنسي لويس باستير (١٨٢٢-١٨٩٥) أنَّ الأحياء المجهرية الموجودة في كل مكان تعيش في مواد عضوية تكون غذاءً لها، وبعد تغذيها ونموها تتكاثر الأحياء المجهرية فتولد الكثير من مثيلاتها وتكون سبباً في حدوث التلوث، فإذا ما عولجت الدوارق بالحرارة لغرض التعقيم وختمت فلن تظهر أحياء مجهرية بعدها حتى ولا لأشهر.

إنَّ تقنية المعالجة بالحرارة لقتل الأحياء المجهرية وحماية الغذاء من التلوث بعد تعقيمه بختم الدوارق وحجب الهواء عنها تسمى عملية البسترة، وتستخدم هذه التقنية ذاتها في عملية تعليب الطعام.

ولقد كان الفيزيائي والشاعر الإيطالي فرانسيسكو ريدي من القرن السابع عشر أول من يجري تجارب موجهة في حدود عام ١٦٨٨، أبطلت الاعتقاد الذي يقول أنَّ اليرقات تنشأ من متعفنات السمك واللحم والأفاعي، وأثبت ريدي أنَّ اليرقات والذباب إنما تنشأ من أبوين حيين وليس من مادة ميتة.

لقد أثبتت تجارب هؤلاء العلماء بما لا يقبل الشك أنَّ المادة الميتة لا يمكن أنْ تنشئ مادة حية. ومن هنا استنتج العلماء (مبدأ النشوء الحيوي)، وهو المبدأ القائل بتوالد الكائنات الحية من الكائنات الحية، وتقول الموسوعة الأمريكية: "ما عاد علماء الأحياء مجمعين على أنَّ كل أشكال الحياة تنشأ من حياة تسبقها وحسب، بل إنَّ الكائنات الحية الوالدة والمولودة كلها من نوع واحد".

ونحن أيضاً نسلّم بمبدأ النشوء الحيوي، لكن من أين جاءت الحياة على الأرض؟ فعندما كانت الأرض كتلة غازية حارة مشتعلة بعد انفصالها عن الشمس، لم يتسنَّ لها حيازة كائنات حية بأي صورة من الصور، وقد ثبت لدينا فيما سبق أنَّ المادة غير الحية حتى بعد أنْ تبرد لا يمكنها أنْ تولد أي كائنات حية كما روَّج لذلك دارون ودعمه بارفيز، وعليه ينبغي علينا أنْ ننحني مذعنين للقرآن الكريم الذي يقول: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

فالله وحده القادر على أنْ ينشئ حياة من الأرض عندما كانت مادة غير حية، ثم أودع نظام التوالد في كل نوع من الأنواع.

وقد يقول شخص جريء مثل بافيز: "لقد تغيرت جزيئة التراب بعد قرون من التطور لتأخذ شكل إنسان"، في الوقت الذي تخبرنا الاكتشافات العلمية بأنَّ الشرارة الأولى للحياة على الأرض لم تكن لتنشأ من مادة غير حية.

إنَّ كل المادة الموجودة في الأرض مؤلفة من عناصر أساسية، والعنصر جوهره مصنوع من ذرات ذات نوع واحد، لا يمكن تبسيطه أو تفكيكه بالوسائل الكيمياوية الاعتيادية، ولا تحمل عناصر الكرة الأرضية أي نزعة تطورية.

فذرات العناصر موجودة إما

١- سورة العنكبوت، الآية ٢٠.

بشكلها المستقر أو بشكل له نزعة إلى التحلل، وإنَّ مبدأ التعادل الحراري في العلم يخبرنا أنَّ هناك مَيلاً بالاتجاه النازل من ذي التنظيم العالي إلى ذي التنظيم الأدنى، وإنَّ المادة غير الحية لا تبحث عن سبيل لتحسين وضعها لكنها تميل إلى حالة الحياد وتتحلل بمرور الوقت، نتاج الزمن هو التحلل والتفكك، ومروره يؤدي إلى تآكل المعادن وتفتت الصخر، إذن فالزمن

مدمّر وهو عدو التطور.

والجسم الساكن يبقى ساكناً والمتحرك يبقى متحركاً إلا إذا أثرت عليه قوة خارجية، والكرة لا ترفع نفسها من على الأرض وتقذف بنفسها في أي اتجاه، والعربة لا تتحرك من تلقاء نفسها إلا إذا أثرت عليها قوة قاهرة، إنَّ المادة غير الحية لا حركة فيها ولا طاقة ولا حياة، وتبقى غير حية إلى الأبد ما لم تؤثر عليها قوة خارجية عُليا تمنحها الحياة والاتجاه والتنظيم، ولهذا علينا أنْ نقرّ بأنَّ الحياة لم تأت إلى الأرض نتيجة تولّد ذاتيّ، وإنما الله تعالى الخالق العظيم هو الذي خلق كلَّ شيء يدبُّ عليها كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً...﴾[٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ....﴾[٣].

وهكذا فهو الذي خلق كل أشكال الحياة ونشرها على الأرض بإرادته وبتخطيطه، فعلى الرغم من أنَّ الأرض مادة غير حية، ومثلها الطينة التي خلق منها آدم غير الحية، إلا أنَّ الله ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾[٤].

وهكذا بعد نشر جميع أنواع الحياة على الأرض، وضع نظاماً صارماً للتكاثر يحكم كل الموجودات بما يتوافق والأواصر بين أنواعها وعائلاتها. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[٥].

عملية التوالد لأي شيء مقصور على نوعه، وهذا ما سوف أناقشه لاحقاً.

التساؤل الثاني: هل كان هناك أي تنافس على البقاء بين الأنواع المختلفة؟

افترض دارون وجود تنافس من أجل البقاء بين الأنواع المختلفة، والآن سنرى هل كان ثمة صراع فعلاً؟

عندنا ثلاثة أشكال من الحياة.

(أ) الحياة النباتية.

(ب) حياة الحيوان والطيور.

(ج) الحياة البشرية.

سنرى ما يقوله القرآن الكريم بخصوص هذه الأنواع من الحياة، أما الحياة النباتية فيقول القرآن عنها: ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[٦]، ويقول القرآن أيضاً: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٧].

أما بخصوص التساؤلين الثالث والرابع فنسأل: هل كان هناك أي تطور بين النباتات والأشجار؟ لم يكن ذلك على الإطلاق، لا تسمح الخلية الحية في أي نوع من أنواع النباتات أو الأشجار بأدنى تغيُّر في خطة نموّها. قد تختلف ألوانها وأحجامها، لكنها لا تخرج عن ضوابط عائلاتها، ويبقى العنب والزيتون محتفظين بنوعيهما.

كما لا نجد أي تنافس أو صراع من أجل البقاء بينها، فقد وضع الله تعالى نظاماً لنموها وينزل عليها المطر ويبعث عليها الرياح اللواقح لكي تثمر، وهناك عدة آيات في القرآن تشرح دورة الماء وإعادة الحياة للنبات وفقاً لقانون: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...﴾[٨].

والقرآن الكريم يعطي تفاصيل حية جداً عن حياة الحيوان والطير، نستعرض بعض الآيات لنعرض الرأي العلمي في هذه المواضيع: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٩].

وكلمة ﴿دابّة﴾ هنا تعني كُلَّ ما يدبُّ على الأرض، يخبرنا القرآن أنَّ خلق الإنسان والدوابّ.. إلخ من آيات الله تعالى. لماذا؟ لأنَّ الأرض سبق لها أنْ كانت كتلة غازية حارة مشتعلة خالية من الحياة، وثبت لنا أنَّ العلماء قد أثبتوا استحالة ظهور أشكال من الحياة من مادة ميّتة، وعليه فمن الواضح أنَّ الله الخالق هو الذي خلق جميع أشكال الحياة، ويخبرنا القرآن أنَّ الله قد خصَّص نظاماً لتكاثر الإنسان وجميع أشكال الحياة: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١٠].

والماء هنا إشارة إلى البروتوبلازم إذ أنَّ الماء يشكّل العنصر الأساسي فيه وفي كل الخلايا الحية، وكل كائن حي يحوز على إلف له من فصيلته لغرض التكاثر، وبإمكاننا تقسيم مملكة الحيوان والطير إلى صنفين: الصنف الآكل للحوم والصنف النباتي، لقد ظل العالم يسجل تاريخه من قبل ظهور القرآن وحتى تاريخنا الحاضر، هل كان هناك أي تنافس أو صراع من أجل البقاء بين الطيور الجوارح والطيور الأخرى وبين الحيوانات الضواري والحيوانات النباتية كما كان يؤمن بذلك دارون؟ كلا! على الإطلاق!، فنحن نرى الفريقين كلاهما في نمو جنباً إلى جنب، فالأسود لم تستطع أنْ تجعل الغزلان تنقرض، كما لم تستطع طيور العقاب أنْ تقضي على الطيور، والواقع الذي نشهده هو ما ذكره القرآن قبل ١٤٠٠ عام: ﴿وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١١].

بخلاف ما يقول به دارون تماماً، فالحيوانان الضاري والضعيف كلاهما يعيش، وكلاهما على نحو الإجمال يحصل على رزقه، وقانون الله تعالى لا يسري على مملكة الحيوان والطير فقط بل على الإنسان أيضاً، والله الرزاق العظيم يطعم جميع الحيوانات فضلاً عمن هو الأقوى فيها أو الأضعف، ويفلح كل إنسان إلى حد معين بجهده في أنْ يؤمن الرزق لنفسه، وكل ذلك جارٍ بإرادة الله تعالى وتخطيطه: ﴿.....نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا.....﴾[١٢].

وأقام التدرجات ما بين بني البشر ليتسنَّى لهم خدمة بعضهم بعضاً، وبهذه الطريقة فقد أجرى أمور الدنيا وكتب رزقاً لكل واحد، ولا نسمع بموت أحد بسبب التخمة مقابل من يموت جوعاً إلا نادراً، أما عندما ينغمس الناس بمعصية الله وارتكاب الآثام فهم يموتون من أمراض تناسلية مثل مرض الأيدز، ومن الحرب والمجاعة.

فالله تعالى هو الخالق والرازق للجميع، ولو بات الرزق بيد الأغنياء إذن لأصبح الفقراء إما عبيداً للأغنياء أو لماتوا جوعاً، إنَّ الواقع الذي نشهده من كون كل إنسان أكان غنياً أم فقيراً، قوياً أم ضعيفاً، قادراً أم عاجزاً، صحيح البدن أم مريضاً، حاصلاً على عمل أم بدون عمل، لا بُدّ وأنْ يكون له رزق بطريقة ما، لهو بحد ذاته دليل على أنَّ الله هو رازق الجميع، ليس الأصلح هو من يبقى والباقي يموت، بل الكل يبقى. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[١٣].

٢- سورة البقرة، الآية٢٩.
٣- سورة الأنعام، الآية ١٤١.
٤- سورة الأنعام، الآية ٩٥.
٥- سورة الروم، الآية ٣٠.
٦- سورة الحجر، الآية ١٩.
٧- سورة الأنعام، الآية ٩٩.
٨- سورة الروم، الآية ٣٠.
٩- سورة الجاثية، الآية ٤.
١٠- سورة النور، الآية ٤٥.
١١- سورة العنكبوت، الآية ٦٠.
١٢- سورة الزخرف، الآية ٣٢.
١٣- سورة الذاريات، الآية ٥٨.

الإمام الجواد عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم -١-

الشيخ عماد الكاظمي

إنَّ للإمام أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام روايات متعددة في تفسير آيات القرآن الكريم، وفي أبواب مختلفة، كالعقائد والفقه والأخلاق وغيرها، وإنَّ هذه الروايات الشريفة مما أغنت المكتبة الإسلامية في تفسير القرآن الكريم بالمأثور، وهي -في الوقت نفسه- بحاجة إلى تسليط الضوء عليها في الدراسات القرآنية لمعرفة ما تتضمنه من معرفة وآثار، فالروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم كثيرة، وقد تغني الباحث بما ورد فيها في أبواب متعددة، ونحاول في هذه الصفحات أنْ نسلط الضوء بإيجاز على تلك الروايات التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام؛ لننهل من ثِقْلِ الكتاب المعين الصافي لوحي الله تعالى، فهم أهل الذكر وخاصته الذين أمر الله تعالى عباده بالرجوع إليهم، إذ قال عزّ وجل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

- الآية الأولى / قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

١: سورة الأنبياء: الآية ٧.

٢: سورة البقرة: الآية ١٧٣.

* روى عبد العظيم الحسني[٣] عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام في حديث طويل: ((قَالَ: قُلْتُ يَا ابْنَ رَسُوْلِ اللهِ فَمَا مَعْنَى قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾؟

قَالَ: الْعَادِيْ السَّارِقُ. وَالْبَاغِيْ الَّذِيْ يَبْغِيْ الصَّيْدَ بَطَرًا أَوْ لَهْوًا لَا لِيَعُوْدَ بِهِ عَلَى عِيَالِهِ، لَيْسَ لَهُمَا أَنْ يَأْكُلَا الْمَيْتَةَ إِذَا اضْطُرَّا، هِيَ حَرَامٌ عَلَيْهِمَا فِيْ حَالِ الاضْطِرَارِ، كَمَا هِيَ حَرَامٌ عَلَيْهِمَا فِيْ حَالِ الاخْتِيَارِ ....))[٤].

إنَّ الرواية التفسيرية الشريفة تبين مسألة من المسائل التي آستعرضتها الشريعة الإسلامية المقدسة، وبينت أحكامها وحدودها وآثارها، فالآية المباركة في مقام بيان بعض المحرمات التي حَرَّم الله تعالى على عباده أكلها، فذكرت أربعة منها: (١- الميتة. ٢- الدم. ٣- لحم الخنزير. ٤- ما أُهل لغير الله)، وهذه المحرمات قد آستثنيت عند الاضطرار إليها، ولكن بشرط أنْ يكون الاضطرار من دون عدوان أو بغي، ولأجل أنْ نكون على بينة مما ورد في الرواية الشريفة وما تضمنته من أحكام نحاول بيان موضوعات ثلاثة:

الأول: تعريف الباغي والعادي.

الثاني: أقوال المفسرين.

الثالث: آيات الأحكام.

- الأول: تعريف الباغي والعادي.

١- الباغي: قال الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م): ((البغيُ طلبُ تجاوزِ الاقتصادِ فيما يتحرَّى، تجاوزَهُ أو لم يتجاوزهُ، والبغيُ على حزبين: أحدهما محمودٌ وهو تجاوزُ العدلِ إلى الإحساد والفرضِ إلى التطوُّعِ. والثاني مذمومٌ وهو تجاوزُ الحقِّ إلى الباطلِ أو تجاوزُهُ إلى الشُّبَهِ .... فالبغيُ في أكثرِ المواضعِ مذمومٌ وقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي غيرَ طالبٍ ما ليسَ له طلبَهُ، ولا متجاوزٍ لِما رُسِمَ له))[٥].

٢- العادي: قال الراغب: ((من الاعتداء وهو مجاوزة الحد، ومنه التجاوز ومنافاة الالتئام .... وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ ولا عاد أي متجاوز سد الجوعة، وقيل: ولا عاد في

٣: أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من أصحاب الإمام الجواد والهادي عليهما السلام، ورد الري هاربًا من السلطان، أثنى عليه الأعلام، ووردت روايات متعددة عنه. ينظر: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي ٥٠/١١.

٤: تهذيب الأحكام، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي ٩٧/٩.

٥: مفردات غريب القرآن ص٥٦.

المعصية))[6].

وذكر الشيخ فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ/١٦٧٤م) مثل ما تقدم من آنصراف البغي إلى التجاوز على الحدود والحقوق، وكذلك العادي وقد ذكر لذلك مصاديق متعددة تنطبق على البغي كما ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة[7].

- الثاني: أقوال المفسرين.

ذكر المفسرون ما يتعلق بهذه الآية الشريفة وتفصيل ذلك، فنذكر منها إجمالاً:

١- قال الطبري (ت٣١٠هـ/٩٩٢م) فيما يتعلق بمفهوم الاضطرار: ((يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾، فَمَنْ حَلَّتْ به ضَرورةُ مجاعةٍ إلى ما حُرِّمَتْ عليكُمْ من الميتةِ والدمِ ولحمِ الخنزيرِ وما أُهِلَّ بهِ لغيرِ اللهِ -وهو بالصفة التي وصفنا- فلا إثمَ عليهِ في أكلِهِ إنْ أكلَهُ. وقد قيل: إنَّ معنى قوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾، فمَنْ أُكرهَ على أكلهِ فأكلَهُ، فلا إثمَ عليهِ))[8].

إنَّ ما تقدم من تفسير هو المعنى المعهود للاضطرار إلى شيء، فالحكم الشرعي يبيح للمضطر ما لا يبيح لغيره على مقدار الضرورة من دون زيادة، لتلافي الهلاك الذي قد يصيب الإنسان، وفي ذلك حفظ من المشرّع للناس من ضرر الهلاك، فالاضطرار كما تم تعريفه هو: ((الحالةُ التي يكونُ فيها مَنْ نزلتْ به ضرورةٌ، أو الشدَّةُ التي لا دافعَ لها إلا ما آضطرَّ إليهِ، أو حالَةٌ ناتجَةٌ عن نزولِ أمرٍ يتسبَّبُ عنه تلفُ النفسِ، أو أحدِ الأعضاءِ، أو نزولُ مكروهٍ لا يمكنُ آحتمالُهُ، أو يشقُّ آحتمالُهُ مشقَّةً شديدَةً))[9]، وقد ورد في ذلك لضرورات تبيح المحظورات على تفصيل في مورده.

ثم ذكر الطبري تفاسير ثلاثة لبيان قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ آعتمادًا على الروايات الواردة فيها فنذكر ذلك لأهميته إيجازًا حيث قال في بيان القول الأول: ((وأما قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ فإنَّ أهل التأويل في تأويله مختلفون، فقال بعضهم: يعني بقوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غيرَ خارجٍ على الأئمةِ بسيفِهِ باغيًا عليهِمْ بغيرِ جَوْرٍ، ولا عاديًا عليهِمْ بحربٍ وعدوانٍ، فمفسدٌ عليهِمُ السبيلَ. عن مجاهد يقولُ: لا قاطعًا للسبيل، ولا مفارقًا للأئمةِ، ولا خارجًا في معصيةِ اللهِ، فلهُ الرخصةُ، ومَنْ خرجَ باغيًا أو عاديًا في معصيةِ اللهِ فلا رخصةَ له وإنِ آضطُرَّ إليهِ))[10].

إنَّ هذا القول ظاهر الدلالة في آنطباقه على بعض المصاديق التي وردت فيه الروايات المتقدمة، وإنْ كان المعنى أعم من مصاديقه، وعدم شمول الرخصة للباغي والعادي كما أشارت إليه رواية الإمام محمد الجواد عليه السلام.

وقال في بيان القول الثاني: ((قال آخرون في تأويل قوله: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غيرَ باغٍ الحرامَ في أكلِهِ، ولا معتدٍ الذي أبيحَ له منه. عن قتادة قال: غيرَ باغٍ في أكلهِ، ولا عادٍ: أنْ يتعدَّى حلالاً إلى حرامٍ، وهو يجدُ عنه مَندوحَةً. قال آبن زيد: أنْ يأكلَ ذلكَ بَغيًا وتعديًا عن الحلالِ إلى الحرامِ، ويتركَ الحلالَ وهو عنده، ويتعدَّى بأكلِ هذا الحرامِ. هذا التعدي ينكرُ أنْ يكونا مختلفَيْنِ، ويقولُ هذا وهذا واحِدٌ))[11].

إنَّ هذا القول يؤيد المفهوم العام لمعنى البغي والاعتداء من غير النظر إلى المصاديق، أو تقيده بها؛ ليكون الإنسان على بينة بأنَّ لكُلِّ تصرُّفٍ حدودًا معينة واضحة قد بينتها الشريعة المقدسة وهي واضحة جلية، ويجب على الإنسان أنْ يكون على بينة منها؛ لئلا يقع في آرتكاب المحرمات، وهذا المعنى يمكن أنْ يكون أكثر تربية للإنسان على المستوى الشخصي والاجتماعي، وإنْ كان مورد نزول الآية لواقعة معينة.

وقال في بيان القول الثالث: ((فمن آضطر غير باغ في أكله شهوة، ولا عاد فوق ما لا بُدَّ له منه))[12].

إنَّ هذا القول الأخير يمكن أنْ يكون من ضمن القول الثاني بوجه عام، وإنْ كان قد تم تحديده بالشهوة التي تقود صاحبها إلى آرتكاب المحرمات، وفي ذلك تحذير للإنسان من الانقياد وراء الشهوات، وما يتطلب منه من معرفة تامة، فضلاً عن العمل الذي هو بمثابة الجهاد الأكبر كما ورد في روايات جهاد النفس.

٢- قال الطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) في بيان ما يتعلق بالاضطرار ذاكرًا قولين في بيان المراد منه حيث قال: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى أكل هذه الأشياء ضرورة مجاعة عن أكثر المفسرين، وقيل ضرورة إكراه. وتقديره فمن خاف على النفس من الجوع ولا يجد مأكولاً يسد به الرمق))[13].

إنَّ هذا التفسير للاضطرار كما تقدم بيانه يقابل الاختيار الذي يمر به الإنسان، ولكنه أشار إلى الشق الثاني من تفسير الاضطرار في هذه الآية وهو الإكراه على أكل المحرمات، وبيان الحكم الشرعي له، فقد يكون الإنسان غير مضطر آضطرار مجاعة، ولكن يكره على فعل الحرام كراهة لا يمكن تحملها عادة، وهذا المعنى لم تشر إليه رواية الإمام الجواد عليه السلام، بل آستعرضت الرأي الأول المتقدم للاضطرار.

وأما فيما يتعلق بالبغي والاعتداء فقال: ((وقوله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ قيل: فيه ثلاثة أقوال أحدها: غير باغ اللذة، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ سد الجوعة. وثانيها: غير باغ في الإفراط ولا عاد في التقصير. وثالثها: غير باغ على إمام المسلمين ولا عاد بالمعصية طريق المحقين وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله وعن مجاهد وسعيد بن جبير))[14].

٣- قال السيد الطباطبائي (ت١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) في بيان متعلق الاضطرار في جواز الأكل: ((قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي غير ظالم ولا متجاوز حده، وهما حالان عاملهما الاضطرار، فيكون المعنى فمن آضطر إلى أكل شيء مما ذكر من المنهيات آضطراراً في حال عدم بغيه وعدم عَدْوه فلا ذنب له في الأكل، أما لو آضطر في حال البغي والعدو كأنْ يكونا هما الموجبين للاضطرار فلا يجوز له ذلك))[15].

إنَّ هذه التفسيرات تبيّن بوضوح ما يتعلق بهذه المحرمات التي وردت في الآية المباركة، وأشارت إليها الرواية الشريفة للإمام الجواد عليه السلام، وما يتعلق بجواز تناول ذلك عند الاضطرار، وقد وردت روايات تفسيرية متعددة عن الأئمة عليهم السلام في تفسير الآية المباركة[16].

الثالث: آيات الأحكام.

قد تبيَّن من خلال ما تقدم أنَّ هذه المحرمات الأربعة المذكورة لا يجوز تناولها إلا في حال الاضطرار، وقد آستفاد من النص جواز ذلك للذي يتناوله في حال معين، وعُدَّت هذه الآية المباركة من آيات الأحكام التي ذكرها العلماء في مؤلفاتهم كتاب الأطعمة والأشربة، قال الشيخ فاضل الجواد الكاظمي (ق١١هـ) تحت عنوان «في أشياء المباحات»: ((فلا إثمَ عليهِ، لا ذنبَ ولا تحريمَ عليهِ في التناولِ، إنَّ اللهَ غفورٌ لما فعلَ، رحيمٌ يرخصُ مثلَ ذلكَ حالَ الضرورةِ، وقد سلفَ الوجهُ في الجمعِ بينَ الوجهينِ، قال القاضي: فإنْ قيلَ: إنَّما يفيدُ قصرَ الحكمِ، وكم من حرامٍ لم يذكر، قلتُ: المرادُ قصرَ الحرمةِ على ما ذُكِرَ مما آستحلُّوه لا مطلقًا، أو قصرَ حرمتهِ على حالِ الاختيارِ، كأنَّه قيل: إنَّما حُرِّمَ عليكُمْ هذهِ الأشياءَ ما لم تضطرُّوا إليها))[17]. فالحكم الشرعي المستفاد من الآية المباركة ظاهر في إفادة الإباحة عند الاضطرار في حالات خاصة.

وقال الشيخ باقر الإيرواني «الطعام المحرم» عند بيانه لحال المضطر: ((عرفنا حرمة تناول كل ما آنطبق عليه أحد العناوين السابقة، ولكن ينبغي آستثناء حالة الاضطرار فإنَّه يجوز التناول بالمقدار الذي ترتفع به الضرورة .... وينبغي أنْ يكون واضحًا أنَّ الأكل على الباغي والعادي وإنْ كان محرَّمًا شرعًا، ولكنه يلزم آرتكابه عقلاً من باب آرتكاب أخف القبيحين، وأهون المحذورين كما هو واضح))[18].

ختامًا إنَّ منهج الثقلين في بيان الحكم الشرعي ظاهر، وإنَّ الرواية التفسيرية للإمام الجواد عليه السلام قد بيَّنت ذلك وأكدته، مع بيان بعض المصاديق للبغي والاعتداء .. وإلى لقاء قادم.

٦: المصدر نفسه ٣٢٧.

٧: ينظر: مجمع البحرين ص٥٤-٥٦.

٨ :جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢٠/٣.

٩ :معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي ص٧٣.

١٠ : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٣٢٢/٣.

١١: المصدر نفسه ٣٢٣/٣-٣٢٤.

١٢: المصدر نفسه ٣٢٤/٣.

١٣: مجمع البيان في تفسير القرآن ٤٦٧/١.

١٤: المصدر نفسه ٤٦٧/١.

١٥: الميزان في تفسير القرآن ٤٢٦/١.

١٦: البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني ٣٨٠/١-٣٨١.

١٧: مسالك الأفهام إلى آيات الأحكام ١٥٢/٤.

١٨: دروس تمهيدية في تفسير آيات الأحكام ٦١٧/١-٦١٨.

فلسفة القرآن العامة

يعدُّ القرآن من العوامل التي دفعت المسلمين إلى التعمق في كثير من مواضيعه التي يعرضها ويدفع إلى التفكر فيها، والقرآن وإن يكن قد وضع عقيدة عامة تتمثل في التعاليم المعروفة إلا أنه قد تعرض إلى كثير من المسائل الفلسفية التي تشغل أذهان الناس وتجعلهم يختلفون في الحكم عليها، وفي مقدمة هذه المسائل معرفة الله ومعرفة صفاته وصِلاته بالإنسان وعلاقاته بالكون

الأستاذ محمد سليم الأمين

وبهذا يكون القرآن قد تعرض إلى أهم المسائل الفلسفية ووضع لها نظريته، فبرهن على معرفة الله، وأثبت وجوده، واستدل على صلته بالإنسان وعلاقته بالكون، وبذلك يكون الله جوهر الفلسفة القرآنية ومركزها الذي تدور حوله المسائل الفلسفية الكونية والإنسانية، ويكون موضوعها وحدة متكاملة سداها ولحمتها القرآن هذا من ناحية الموضوع.

أما من ناحية الاتجاه الذي التزمه القرآن في عرض الحقائق الفلسفية فجميعنا يعرف بأنَّ القرآن الكريم - على الرغم من قدسيته - لم يستعمل الإكراه الفكري في عرض الحقائق المذكورة، وإنما يتوسل إلى نشرها والتدليل عليها بما التزمه من وسائل البحث والتدليل، ومن جملة ذلك الاعتماد على العقل وإثارة الروح الفلسفية التي تكمن في نفوس الناس، حيث يحمل الناس جميعا في نفوسهم نواة الفلسفة، فلم تغرب هذه الحقيقة عن القرآن فيما يعرض له من الحقائق الفلسفية، فنراه حينما يجادل الناس في الفلسفة الإلهية خاصة يتدرج معهم حتى يتغلغل إلى بواطنهم ليمسَّ الروح الفلسفية التي تكمن في نفوسهم، وبعد ذلك لا يفوت القرآن أنْ يستعمل الوسائل التاريخية والجدلية فيما يعرض له من الأدلة والأحكام

ويتخذ القرآن في كل ذلك منهج الملاحظة والتأمل الباطني في الدليل على الحقائق الفلسفية التي يعرض لها، ومنهج الملاحظة والتأمل الباطني من المناهج الفلسفية المعروفة في المدارس الفلسفية والنفسية.

وقبل أنْ نستطرد في حديثنا نريد أنْ نورد بعض الأمثلة من الآيات القرآنية التي تعرضت إلى الحقيقة، وما يتصل بها من معرفة الكون عامة والإنسان خاصة، ثم حقائق وجود الإنسان في هذا العالم؛ لنحكم كيف أنَّ القرآن فيما يدعو إليه من الفلسفة الإلهية ملتزم بمنهجي التأمل الباطني والملاحظة الخارجية، فالقرآن يحدثنا في سورة الغاشية: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)[1]، (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[2]، وكذلك يحدثنا في سورة النازعات: (أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)[3].

والفلسفة القرآنية تربط ربطاً محكماً بين الله وبين العوالم الكونية، فتنبه النفس وتوقظ العقل وتدفع بعد هذا وذاك لتوصلنا إلى الإيمان بالله والاطمئنان إلى وجوده...

وليس الله هو الصانع المبدأ للعقل كما يعتقد الفلاسفة القدماء كأرسطو وغيره، وليس هو ضمن العالم المادي، ولكنه هو الخالق والمهيمن والمحيط بكل شيء، والمدبر لكُلِّ شيء، وليس كمثله شيء، وهو كائن مستقل يرتفع عن العالم المادي، فالقرآن يخبرنا في سورة الأنعام: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ)[4] ويخبرنا في سورة هود: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[5] ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يتعدى ذلك إلى يوم الحساب في الآخرة.

وخلاصة الأمر فإنَّ القرآن بما يعتمد عليه من مناهج البحث وأساليب العرض يحاول أنْ يمازج بين العقل الإنساني والحقائق الدينية، بل يحاول أنْ يدع العقل الإنساني يتوصّل إلى هذه النتائج الفلسفية، وذلك بما يوفِّر لهذا العقل من المقدمات التي توحي بالنتائج المعينة في الفلسفة الإلهية.

وفي كل ذلك يعرض القرآن فلسفته هذه بوضوح دونما تعقيد في النظريات، فالأمثلة من الآيات التي ذكرنا بعضها آنفاً تلفِت النظر إلى كثير من المعالم الكونية بحيث تهيئ العقل حتمًا إلى التفكير في خالق هذا الكون، وقد تخطر هذه الأفكار على العقول وحتى على العقول الفنية، فتدفع أصحابها ليجول فكرهم في الكون وعوالمه ومعالمه؛ ليستكهنوا حقائقه ويكتشفوا ما وراءه، ولا بد أنْ يلجَّ عليهم التفكير ليصلوا إلى النتيجة الحتيمة وهي الإيمان بالله، ومعرفة حقيقته كما يوضِّحها القرآن.

١- سورة الغاشية: الآيات ١٧-٢٠.
٢- سورة آل عمران: الآية ١٦٣-١٦٤.
٣- سورة النازعات: الآيات ٢٦-٣٣.
٤- سورة الأنعام: الآية ١١.
٥- سورة هود: الآية ٦.

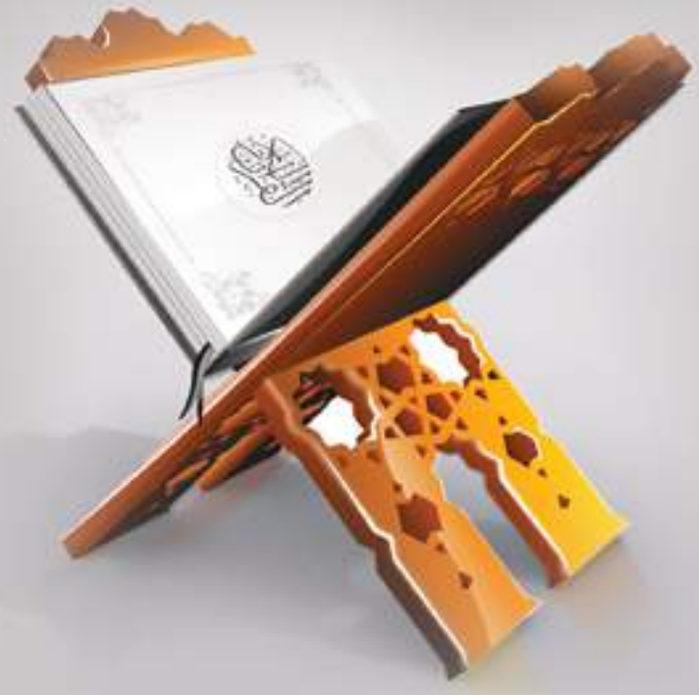

نحن نعرف أنَّ الدين الإسلامي دين الفطرة، أي إنَّ الإنسان بفطرته يتجه مع التفكير القرآني فيؤمن بالله ويقتنع بوجوده، وبهذه الصفة توفر للفلسفة الإلهية في القرآن أنْ تغزو العقول وتتغلب على الخصوم، وذلك لما تجده من التربة الخصبة التي تتمثل في الفطرة الإنسانية فتطمئن إليها العقول وتقتنع بها النفوس، وقد تهيأ للفلسفة القرآنية كذلك – نتيجة لما بذله وببذله الفقهاء والمؤمنون طيلة هذا التاريخ الطويل- ما يزيد في توضيحها وقبول أفكارها، فقد عرضت في صور مختلفة تتلائم مع جميع العقول المختلفة دون أن تهمل الظروف المؤثرة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

ثم إننا نعرف أنَّ النظريات الفلسفية أول ما تنشأ في دائرة ضيقة بين الخاصة من الناس، وبقدر ما يتوافر لها من الحيوية وما يتوفّر لها من الجهد تتسع دوائرها بحيث تشمل طبقة كبيرة من الناس، وهكذا تنشأ الأفكار الجديدة لتنقل من الخاصة إلى العامة.

وتتمثل في القرآن معجزة الإسلام التي هيمنت على عقول الناس، وبهرت نفوسهم وملكت عليهم قدراتهم، فكان لبلاغة هذه المعجزة وحرارة العقيدة التي تبثها في سورها وآياتها ما يشغل الناس بها من دون غيرها، فتدفع الناس نحو القرآن يتدارسونه ويستخلصون حكمته ويستنبطون أحكامه، وقد كان لذلك في أول الأمر الأثر الكبير في نقاوة الفكر الإسلامي وأصالته، ولم تتوصل العقيدة الإسلامية إلى ذلك عن طرق الضغط والإكراه كما تفعل حتى اليوم العقائد ذات الاتجاه الفلسفي، فجلُّ العقائد المعاصرة تتثبت بما تمتلك من الوسائل الإيجابية والسلبية في صون أنظمتها وحجز مجتمعاتها.

ولذلك نرى بعد أنْ توفَّر للعقيدة الإسلامية من النمو والازدهار، وبعد أنْ احتكَّ المسلمون بغيرهم من الأقوام الأجنبية، واطلعوا على التراث الفلسفي اليونان وغيرهم، نرى أصحاب الفكر من المسلمين يندفعون إلى دراسة هذه الفلسفة ويتعشقون أساليبها في التفكير، فيبرز بينهم خلاصة من الفلاسفة المسلمين لم يمنعهم إيمانهم بالعقيدة الإسلامية من دراسة الفلسفة اليونانية وبحث موضوعاتها.

ومن الطبيعي أنْ تكون الأفضلية في الانتشار والذيوع للنظريات التي تماثل التفكير الإسلامي، والتي تعاضد الفلسفة الإلهية التي جاء بها القرآن.

وقد كان القرآن مُحفِّزاً يدعو إلى التفكير في الفلسفة المقارنة.

وعلى الرغم من كُلِّ ذلك فقد توفر للفلاسفة المسلمين بعد ذلك أنْ يخوضوا حتى في الجوانب الفلسفية المحضة، فلم يتحرجوا ولم يجدوا في عقيدتهم ما يمنعهم من ذلك، وإن أخذ بعضهم بوحي من فلسفة القرآن في الرد عليها وتفنيدها وأخذ البعض الآخر في تأويلها وتفسيرها بما يتفق والفلسفة الإسلامية.

وقبل أنْ نختم كلامنا نقول: إنَّ القرآن على الرغم من جلاله ومنزلته بين المسلمين لم يمنعهم من ترجمة الكتب الفلسفية الإغريقية بقدر ما كان الأدب العربي مانعاً دون المسلمين من ترجمة الكتب الإغريقية إلى اللغة العربية...، ولم يكن السبب في ذلك كما تعلله الآراء الأدبية من الأدب والشعر الإغريقي خاصة يزخر بالإلحاد فقد ترجمت في العصر الحاضر كثير من الكتب الإغريقية القديمة فلم تكن كذلك، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية ليس في الأدب اليوناني القديم من الآراء المناهضة للدين بقدر ما في جوانب الفلسفة اليونانية الملحدة، وعلى هذا الأساس لم يكن القرآن مانعاً دون الفلسفة الإغريقية بقدر ما كان الشعر العربي مانعاً دون الأدب الإغريقي في هذه الناحية.

مجلة البلاغ، ع٤، س١، ١٣٨٦هـ، ص٣٢.

دار القرآن الكريم
ينظم مسابقة حفظ سورة (الجن)

ترسيخاً للمفاهيم التربوية والأخلاقية في نفوس الناشئة والأجيال الفتية ورعايتها للنشاطات الثقافية والقرآنية في شهر ربيع القرآن، أقامت الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام/ دار القرآن الكريم مسابقة حفظ سورة (الجن) لكوكبة من الطلبة في قاعة دار القرآن الكريم، استهلت بتلاوة افتتاحية لأحد ثمرة الدورات القرآنية في العتبة المقدسة الطالب محمد حسين نجم، تلتها مشاركة الحافظة صفاء عدنان أحمد والحافظ علي حسن مهدي بفقرة الحفظ والأسئلة المختلفة برقم الصفحات والآيات القرآنية المباركة، كما تخلل مشاركة الموهبة القرآنية رضا محمد مهدي بتقديم قراءة تشريفية بتقليد أحد كبار القرّاء المصريين.

وعن طبيعة تلك المسابقة تحدث مدير دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة المهندس جلال علي محمد قائلاً: شهدت العتبة المقدسة فعاليات قرآنية متنوعة خلال الشهر الفضيل شهر رمضان المبارك وكان من بينها مسابقة حفظ سورة (الجن) للأعمار من ٦-١٨ سنة، تُعنى بضبط المعاني والحركات والأحكام والتلاوة وحُسن الأداء، حيث نسعى من خلال هذه الجهود المباركة إلى الحفاظ على تنمية الوعي القرآني لدى أبنائنا الشباب، وتجذير تلك الثقافة لديهم، بحفظ سور كتاب الله العزيز وتلاوته والاهتمام بمعانيه وصولاً إلى تنشئتهم نشأة إسلامية صحيحة تنسجم مع تعاليم ديننا الحنيف وأخلاق نبينا الأكرم وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

وأضاف: إن هذه المسابقة كان هدفها تشجيعي واكتشاف مواهب النشء الجديد وليس الخروج بمراكز معيّنة بالرغم من أن التنافس مطلوب، فضلاً عن الوقوف على معاني الكلمات والتي تعدّ أولى خطوات التدبّر بآيات القرآن الكريم، حيث شهد حضور (٧٥) مشاركاً من البنين والبنات للتنافس على المراكز الثلاث الأولى من الأناث: (رقية جعفر ناجي، رقية محمد جمعة، فاطمة جعفر ناجي) ومن الذكور: (باقر علي حميد، محمد رضا عدنان عبد الرسول، علي حسن مهدي)، وأشرف على اختبارات المتسابقين نخبة من الأساتذة المتخصصين في الشأن القرآني وهم كلّ من : الأستاذ لؤي الطائي، والسيدة بتول جبار، وكذلك المُتحدث.

واختتمت المسابقة بتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على اللجنة التحكيمية والجوائز المالية على الفائزين من فيض بركات الإمامين الجوادين عليهما السلام.

العتبة الكاظمية المقدسة
تَختتمُ الفعاليات القرآنية المُقامة في شهر رمضان المبارك

اختتمت العتبة الكاظمية المقدسة برامجها وفعالياتها وأنشطتها القرآنية والثقافية والتعليمية المتعددة التي شهدتها رحاب الصحن الكاظمي الشريف لإحياء ليالي شهر رمضان المبارك، وهي تحتفي باستكمال الختمة القرآنية والجلسات التعليمية الرمضانية وتكريم الأساتذة والمشاركين الذين ارتادوا هذه المجالس طيلة أيام الشهر الفضيل، بحفل أقامته الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة/ قسم الشؤون الفكرية والإعلام . دار القرآن الكريم، بحضور نائب الأمين العام فضيلة الشيخ عدي الكاظمي وعضو مجلس الإدارة الحاج محمد البناء وعدد من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني والمشاركين بالبرامج التعليمية من البنين والبنات.

واستهل الحفل بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم شنّف بها أسماع الحاضرين الطالب مصطفى حميد، أعقبها كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، ألقاها فضيلة الشيخ عدي الكاظمي قائلاً: في رحاب القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام اجتمعنا في هذا المكان الشريف، لنقطف هذه الثمار المباركة التي واصلت حضورها هذه المجالس لقراءة القرآن الكريم وتعلمه والتدبر فيه، وأدعو من خلال هذا الحفل الكريم الآباء والأمهات حثّ أبنائهم في مواصلة المسيرة القرآنية لأنها الدعامة الأساسية في بناء شخصية الإنسان، وكذلك ينبغي الاهتمام بلغة القرآن الكريم والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ألا وهي " اللغة العربية " التي نشهد هجرها في هذه الأزمنة والابتعاد عنها، والدخول في لغة غريبة مرقعة لا أصل لها ولا أساس، وضرورة الاهتمام بروح القرآن والتخلق بأخلاقه.

تلتها كلمة دار القرآن الكريم، ألقاها مديرها الحاج جلال علي محمد مبيّناً: أرى من المناسب في هذا

نشاطات دار القرآن الكريم
في شهر رمضان المبارك

شملت النشاطات في هذا الشهر الفضيل الختمة القرآنية المرتلة في جامع الجوادين وشارك في هذه الختمة قراء العتبة بحضور القارئ المصري (أحمد عبد الحي) وختمة أخرى مرتلة عبر مآذن الصحن الشريف قبل رفع الأذان عند صلاة الصبح والظهرين والعشائين فضلا عن دعاء الافتتاح بعد الإفطار وأدعية السحر قبل الفجر واحياء ليالي القدر المباركة وكذلك المحفل القرآني اليومي الذي اشترك في هذا المحفل عدد من قراء بغداد وقراء العتبة والقارئ المصري (الشيخ أحمد عبد الحي)، كما أقيمت مسابقة حفظ سورة الجن للبنين والبنات من عمر (٦-١٨ سنة) والتي شارك فيها ٧٥ متسابقًا.. ومن النشاطات المهمة هي الجلسات القرآنية التعليمية حيث كانت هناك ثلاث جلسات تعليمية: جلسة للأولاد والرجال بإشراف القارئ سلام هاشم، وجلسة للنساء بإشراف الست زينب قاسم، وجلسة للبنات بإشراف الست حنان علوان، وختمة قرآنية خاصة بالنساء بإشراف الحافظة بتول جبار، وقد بلغ عدد المشاركين (٢٥٦) طالبًا وطالبة.

المقام إلى الإشارة إلى ظاهرة مؤلمة وهي هجر القرآن الكريم.. فالقرآن الكريم هو رمز الحياة الكريمة ووسيلة للنجاة وسبب لكل رُقي في الدنيا والآخرة فيما لو التزمنا به فقد أنزله تعالى: ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وهو أول الثقلين الذي أوصانا بالتمسك به رسول الله ﷺ فمما يؤسف له أن هذا الكتاب المكتنز بكل ما يبث الحياة وأخلاق الله تعالى غادره الكثيرون فنهلوا من غيره، وانعكس ذلك في السلوك والنظريات والقوانين الوضعية، وقد نجد القرآن الكريم مجرد كتاب للتبرك به وقد تحول إلى كتابات ولوحات مزخرفة تزيّن القاعات والمساجد، وقد نرافقه في شهر رمضان ونهجره بعد انقضاء الشهر.

وأضاف قائلاً: نتقدّم بالشكر إليكم لمشاركتكم وحضوركم والشكر موصول إلى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ولجميع الأقسام والشعب والوحدات التي أسهمت في نجاح تلك النشاطات، ومنهم: قسم الشؤون الفكرية والإعلام، ووحدة الهندسة الصوتية، وإذاعة وقناة الجوادين، والموقع الإلكتروني للعتبة، وقسمَي العلاقات العامة وحفظ النظام، وشعبة الخدمات، ووحدة المكتبة القرآنية، وشعبة النظافة، وشعبة الشؤون النسوية، ونهدي جهودنا وما تلوناه من كتاب الله العزيز إلى أرواح شهداء قواتنا الأمنية والحشد الشعبي وإلى أموات خَدَمة هذه العتبة المقدسة وإلى جميع المؤمنين والمؤمنات.

واختتم الحفل بتكريم الأساتذة المُشرفين على هذه النشاطات القرآنية، وتوزيع الشهادات التقديرية والهدايا على المشاركين.

العتبة الكاظمية المقدسة

تطلق دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام القرآنية الصيفية الثامنة

ضمن منهاج العتبة الكاظمية المقدسة خلال العطلة الصيفية لاستقطاب طلبتنا الأعزاء بفئاتهم العمرية المختلفة ومن أجل نشر الثقافة القرآنية بين تلك الأوساط وتنشئتهم تنشئة إسلامية واعية ومثقفة، أقام دار القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة دورة الإمامين الجوادين عليهما السلام الصيفية الثامنة، لتعليم القرآن الكريم وأصول الدين وفروعه والفقه والأخلاق وسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

وعن طبيعة تلك الدورات تحدث لمجلة (ق والقرآن المجيد) مدير دار القرآن الحاج جلال علي محمد قائلاً: تأتي هذه الدورة استكمالاً للدورات السابقة التي افتتحها دار القرآن الكريم والتي تهدف إلى تجذير ثقافة القرآن الكريم ونهج أهل البيت عليهم السلام عند هؤلاء الناشئة، لأنّ الاهتمام بنشر المعارف القرآنيّة في المجتمع هو من أهمّ عوامل التصدّي للهجمات الثقافيّة التي يشنّها أعداءُ الإسلام.

لذا تسعى الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة إلى تطوير المشروع القرآني من خلال الكثير من الفعاليات والأنشطة حيث بدأنا باحتضان أبنائنا الطلبة من البنين والبنات في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة خلال العطلة الصيفية فخصصت للبنين أيام (السبت والاثنين) من كلّ أسبوع لطلبة المرحلة الابتدائية بإشراف الأستاذ عبد الكريم الأنصاري و(الأحد والثلاثاء) لطلبة المرحلة المتوسطة بإشراف الأستاذ محمد حسن جدوع، وللبنات لكلا المرحلتين تم تخصيص يومي (الأربعاء والخميس) بإشراف السيدتين (هدى فخري ونورا صالح)، ويشهد منهاج الدورة تحفيظهم السور القرآنية المباركة والتي هي جزء من مناهجهم الدراسية والتربوية وطرق قراءتها بالشكل الصحيح، فضلاً عن تعليمهم أصول الدين وفروعه وبعض المسائل الفقهية المبسطة والأخلاق وسيرة أهل البيت عليهم السلام، كما تتخللها تنمية بعض المواهب الصوتية والاهتمام بالإنشاد الديني.

يُذكر أنَّ هناك إقبالًا كبيرًا من الطلبة للتسجيل في هذه الدورات باعتبارها منطلقة من مركز روحي وإيماني وعبادي من أكناف مرقد الإمامين الجوادين عليهما السلام.

تأملات قرآنية

-٦-

روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أَلا مَنِ آشتاقَ إلى اللهِ فليستمع كلامَ اللهِ)). (ميزان الحكمة، محمد الريشهري ج٨ ص٣٣٤٧)

تأملات في الحديث

١- في الحديث دلالة على أنَّ القرآن الكريم هو الحبل الذي يوصل العبد بربه، وكلُّ عبد يجب أنْ يكون له وصالٌ بمولاه، فالقرآن هو حبلنا إلى الله تعالى.

٢- إنَّ هذا الحديث فيه رؤية عرفانية في التعامل مع الله تعالى القائمة على حُبّهِ تعالى، والمحبُّ لمن يحب مطيعٌ، وهذا يؤدي إلى الاستماع لكلام المحبوب والتسابق إلى طاعته لإظهار مقدار المحبة والطاعة.

٣- في الحديث دعوة للالتذاذ بقراءة القرآن والاستماع إلى ما وعد الله تعالى عباده من لقائه، ونعيمه، وجزائه، وهذا لا يكون إلا بالجد والعمل، بعد المعرفة والعلم.

٤- إنَّ علاقة المؤمن بالقرآن يجب أنْ تكون على أساس المحبة والشوق في التلذذ بما فيه من إرشاد ومواعظ ودعوة إلى الإيمان والعمل، وليس على أساس الثواب فقط.

نسأل الله أن يوفقنا للعلم والعمل بذلك إنه سميع مجيب.

مَثَلُ الحياة الدنيا

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الشيخ نجم عبد الرضا الدراجي

للحياة الدنيا حيثيتان تكون في إحداهما ممدوحة وفي الأخرى مذمومة، تكون ممدوحة إذا اتخذها الإنسان مرزعة للآخرة، فهي معبد أولياء الله وعباده ومحل تجارتهم مع المعبود، وتكون مذمومة إذا ألْهت الإنسان عن الآخرة وبقى يدور في فلكها فقط، فإذا حصل على مال سعى لغيره، وإذا وصل إلى منصب خطط لأعلى منه، وإذا تحقق له أمل تجددت عنده آمال، فيكون والحال هذه منهوماً لا يشبع، والآية الكريمة الأولى تتحدث عن حيثية الذم، وتمثل الدنيا بالمطر النازل من السماء ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾، ولهذا الماء النازل من السماء آثار كثيرة ومنها ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾، والاختلاط في اللغة يعني الجمع بين شيئين أو أكثر، وفي الآية يدل الاختلاط على كثرة النبات وتنوعه، والباء في (بِهِ) إما للمصاحبة فيكون النبات مصاحباً لنزول الماء، أو تكون الباء سببية فيكون المعنى بسبب نزول الماء يختلط النبات، والآية تشير إلى تنوُّع النبات من جهة أخرى وهو انقسامه إلى نبات يأكله الإنسان ونبات يأكله الحيوان ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾، ومن الآثار الأخرى للنزول غير الاختلاط واستفادة الإنسان والحيوان، هناك أثر هو المظهر الجميل للنبات المختلط، والملاحظ أنَّ الوصف القرآني البديع لهذا الأثر ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ فالأرض كالعروس تأخذ من النباتات أفخرها ومن الزينة أجملها، مما يجرُّ إلى الاغترار بها والركون إليها ونسيان المنعم الحقيقي، والزعم بديمومة هذا وثباته وإمكانية استثماره من المقبلين على الدنيا ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ وبدون إسناد ذلك إلى الله سبحانه وطلبه منه، مقابل هذا الاغترار يأتي الأمر الإلهي لإبادة كل ذلك بريح أو مطر أو غير ذلك من أساليب الانتقام، سواء بالليل أو بالنهار، فالقدرة الإلهية لا يحدها شيء ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾، وشبَّه استئصال الله لهذه البساتين بالزرع المحصود ولم يبق منه شيء، كأنها لم تكن عامرة قبل قليل، وكلٌّ زائل كأنْ لم يكن، والواقع أنَّ هذا المثل ينتفع به العاقل ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾، والعاقل لا يختار هذه الدار بهذه المواصفات، بل يبحث عن دار أخرى كلها سلام- ليس فيها آفات- ويجدها في دعوة ربه ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

سورة الشمس

-القسم الأول-

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾

يؤكد القرآن الكريم بالقسم على أهمية موضوعين، الأول أهمية الأمر المقْسَم عليه بحيث يحتاج إلى التأكيد بالقَسَم، والثاني أهمية الأمر المقسوم به، حيث أنَّ الله سبحانه حلف به ليلفت النظر إلى أهميته، رغم إنَّ القَسَم الإلهي دائماً يأتي بأمور تَعوَّد عليها الناس مثل الليل والنهار والشمس والقمر وغير ذلك، لكن لم يشهد القرآن حَشْداً من الأقسام كما شهده في هذه السورة المباركة فقد بلغ عددها سبع على رأي وأحد عشر على رأي آخر، مما يدل على أهمية الموضوع المقسوم عليه وهو فوز من زكّى نفسه وخيبة من ترك تزكيتها، القسم الأول ﴿وَالشَّمْسِ﴾ وهي ظاهرة طبيعية تَعوَّد الناس على شروقها واشتدادها وغروبها، وهي مصدر النور والحرارة وهما عنصران أساسيان في حياة الكائنات الحية، وهي مصدر لغيرها من عناصر تكوّن الحياة كحركة الرياح ونزول الأمطار ونمو النبات وتكوُّن الأنهار وغير ذلك من الآثار، والقسم الثاني ﴿وَضُحَاهَا﴾ والضحى لغة يعني انتشار نور الشمس وهذا يحدث حيث ارتفاع الشمس عن الأفق ويغطي نورها كل مكان وتؤدي دورها في حياة الكائنات الحية، والقسم الثالث ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ قسم بحالة تمام القمر ﴿كونه بدراً﴾ فهو يتلو الشمس فعند غروبها يطلع هو لينير ما كان منيراً بالشمس، وقد استفاد بعض المفسرين من هذه التبعية أنَّ نور القمر من نور الشمس، والقسم الرابع ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ يطلق النهار على الوقت الممتد من طلوع الشمس إلى غروبها، والتجلية هي الإبراز والإظهار، والعائد للضمير ﴿ها﴾ هو أما الأرض أو الدنيا – رغم عدم ذكرهما- لكن يمكن اقتناصه من المقام، باعتبار أنَّ النهار يُظهر الأرض، وهناك رأي آخر في عائدية ﴿ها﴾ فيعودها للشمس المذكورة، فيكون المعنى أنَّ النهار يظهر الشمس (مجازاً)، القسم الخامس ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ وهو ظرف الهدوء والاستقرار؛ لأن احتمال استمرار سطوع الشمس وعدم انقطاعها يؤدي إلى زيادة درجة الحرارة وتلف كُلَّ الأحياء، والتغشية هي التغطية، والكلام في ﴿يغشاها﴾ ولمن عود﴿ها﴾ نفس الكلام السابق في ﴿جَلّاها﴾، والملاحظة أنَّ الفعل هنا جاء بصيغة المضارع الذي يدل على الاستمرار مما يشير إلى استمرار هذه الظاهرة الكونية، وقد فُسّرت هذه الظواهر تفسيرًا من بطن القرآن- في روايات أهل البيت عليهم السلام- فالشمس هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والقمر هو أمير المؤمنين عليه السلام والنهار الأئمة المعصومون والليل أئمة الضلال، وبعد ذلك ينتقل القسم القرآني من الظاهرة الطبيعة إلى القسم بالسماء وبانيها ﴿ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ بما فيها من عظمة الكواكب والأجرام السماوية وما يحكمها من نظام عجيب، والقَسَم الذي بعده بالأرض وخالقها ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾، والطحو معناه الانبساط، ثم انتقل القَسَم من الآفاق إلى الأنفس البشرية وخالقها، والذي خلقها وهي مُلْهَمة الذنوب التي تهتك ستر الدين، ومُعلّمة ما يقرب العبد إلى مولاه ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

الإنفاق في المنظور القرآني

محمد أيوب

لقد استعرض القرآن الكريم الكثير من المواقف الجدلية -التي عبّرت عن مدارك عقلية تبيّن مدى تطور الوعي الإنساني في حقب مختلفة من تأريخ الفكر البشري خلال رحلته التكاملية- التي كانت مقدمة لحدوث صراعات بين فئات اجتماعية مختلفة، وغالباً ما كانت المواضيع الدينية كالعقيدة والفقه محور تلك المواقف

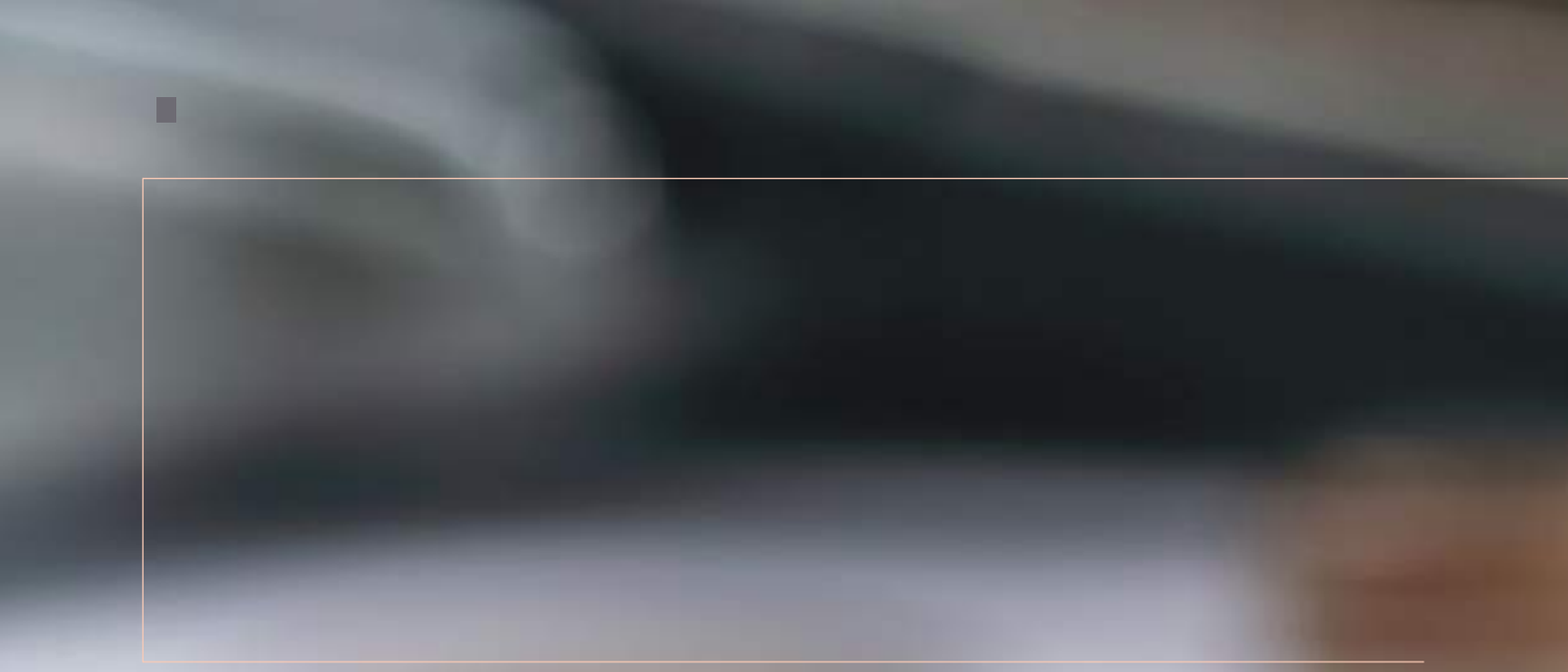

ومن الآيات الواردة في هذا المضمون قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

إن معنى استنكار الكافرين أمر الإنفاق هنا إما تهكمي فيكون المعنى: (لو كان هناك وجود للإله الذي تدعونا إليه فلماذا لا يطعم خلقه وعباده)، فالمراد هنا إنكار لوجود الإله أصلاً من خلال نفي قدرته على إطعام الفقراء.

أو أنه إيهاماً بمعنى: (إنْ كان الله - وهو المسؤول بزعمهم عن إطعام الفقراء بشكل مباشر- لم يطعمهم فهل نحن المسؤولون عن إطعام الفقراء؟!!، أو تكون بمعنى: كيف نطعم من لا يشاء الله إطعامه؟!!، وكأنَّ إنفاقهم وإطعامهم الفقراء خلاف الإرادة الإلهية).

إنَّ هذا الاستنكار - بمعناه التهكمي- صادر عن عقلية إما جاهلة غير واعية ولا عارفة بحقائق الأمور، أو أنه جدل فارغ هدفه جلب المنافع والأرباح الزائلة من خلال تسقيط فرض الإنفاق والإطعام، وفي معرض توضيح زيف تلك الشبه نستطيع أنْ نوجز القول في الرد عليها من وجوه عدة منها:

الوجه الأول

إنَّ الله تعالى قادر على كُلّ شيء، وعطاءه نازل بقدرته تعالى في كُلّ حين وعلى جميع الخلق بعدالة، إلا أنَّ المانع من هذا العطاء هو عمل الإنسان وعقيدته، فعدم الإيمان الحقيقي والتسليم لله تعالى يحرم الإنسان صنوف الخير والبرّ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، وكما بيّن تعالى حال أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[3]، بينما نرى أن بعض المؤمنين قد رزقهم الله -وبشكل مباشر بدون واسطة- كما حَدَث مع مريم عليها السلام في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[4]، وكذلك إنعامه ومنّه على قوم موسى إذ ذكر تعالى حالهم في قوله جل وعلا: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[6]، وبعد ما تقدم يتضح لدينا أنَّ منكري الله تعالى بدعوى عدم قدرته على إطعام الفقراء مردود قطعاً، وهذا أمر بديهي ظاهر.

الوجه الثاني

إنَّ الله تبارك وتعالى هيَّأ للإنسان أسباب الرزق، فأعطاه القوة والقدرة على العمل وعلَّمه سبل التكسُّب، وسخَّر له الدوابَّ لتعينه في سعيه، كما وسخَّر له الشمس والقمر وقوى الطبيعة لتكون بخدمته، فبعد كُلّ هذا لا يبقى للإنسان إلا العمل والسعي في طلب الرزق، ووفق ما تقدم نستنتج بأنَّ أحد الأسباب في عيش الإنسان حياة العوز والحرمان هو تركه السعي والعمل لكسب عيشه، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[7].

ومن الآيات الدالة على هذا المضمون قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[8]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾[10]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[11].

كلمة لا بد منها

إن مشيئة الله تعالى بضرورة سلوك الإنسان الأسباب الطبيعية في طلبه الرزق تنطوي على حكمة بالغة تتمثل في تربية الإنسان على تحمُّل المسؤولية والسعي في تحصيل الرزق بنفسه من جهة، ومن جهة أُخرى تؤكد في نفسه مفهوم التوكل على الله تعالى وحده، ذلك لأن أسباب الأمور ومقاليدها بيده تعالى وحده ومن خلال الدعاء والتضرع له تعالى تقضى الحوائج وتنجح الطلبات ويُبسط الرزق، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[12].

كما أنَّ الصعوبات والمعاناة والمتاعب التي تواجه الإنسان في سبيل تحصيل الرزق تورثه صفات عظيمة يتعدى أثرها الوجود الدنيوي كالصبر والثبات وعدم اليأس والتفاؤل وحسن الظن بالله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[13].

وهناك العديد من الآثار الإيجابية التي تترتب على سعي الإنسان في تحصيل الرزق، تتجلى تلك الآثار في نواح عدة كالاجتماع والاقتصاد والثقافة وغيرها مما يضيق بنا المقام لذكرها.. وأما ما يتعلق بالمعنى الإيهامي فسنحاول بيانه في العدد القادم.

١- سورة يس: الآية ٤٧.
٢- سورة الأعراف: الآية ٩٦.
٣- سورة المائدة: الآية ٦٦.
٤- سورة آل عمران: الآية ٣٧.
٥- سورة البقرة: الآية ٥٧.
٦- سورة البقرة: الآية ٦٠.
٧- سورة النجم: الآية ٣٩.
٨- سورة الملك: الآية ١٥.
٩- سورة البقرة: الآية ٢٢.
١٠- سورة الأنعام: الآيتان ١٤١، ١٤٢.
١١- سورة إبراهيم: الآيتان ٣٢، ٣٣.
١٢- سورة النمل: الآية ٦٢.
١٣- سورة الشورى: الآية ٢٧.

بعض ملامح

الاستقرار الاقتصادي

في نصوص الثقلين

غفران كامل كريم

اعتنى القرآن الكريم باستعراض حالات وخصائص حجج الله السابقين المنصّبين من قِبله تعالى، إذ قال عز وجل: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فأراد تعالى عَبر استعراض هذه الوقفات القرآنية القصصية من المسلمين أن يتأملوا مدلولاتها، ويعقلوا دروسها، ويستوعبوا معانيها، ويجعلوا منها منهاجاً للحياة المُثلى والفُضلى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2].

فعلى سبيل المثال تُلقي علينا قصة نبي الله يوسف عليه السلام - في بعض ما تُلقيه- درساً بليغاً في الترشيد المالي واتباع سياسة اقتصادية مُحكَمة، إذ استعرض القرآن الكريم الحلول الناجحة والناجعة التي أعطاها يوسف الصديق عليه السلام بما امتلك من علم لدنّي للتخلص من الأزمة الاقتصادية الخانقة التي حلّت بالبشرية في عهده، حيث جاء ببرنامج عمليّ على أسس علمية لتفادي خسائر الأزمة الاقتصادية الحادة التي سيواجهها المجتمع البشري آنذاك، فنبّه -عند تأويله لرؤيا الملك- إلى أنَّ هناك أزمة اقتصادية خانقة سوف تعصف بالبلاد ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[3]، فأعطاهم عليه السلام خطة محكمة وسياسة حاذقة وتدبيراً اقتصادياً رصيناً، فقال: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾، وقد جاء في التفسير أن كلمة (دأب) تعني في الأصل إدامة الحركة، كما أنَّها بمعنى العادة المستمرة، فيكون معنى الكلام: عليكم أن تزرعوا تبعاً لعادتكم المستمرة في مصر، ولكن ينبغي أن تقتصدوا في مصرفه.. ويحتمل أن يكون المراد منه أن تزرعوا بجدٍ أكثر فأكثر؛ لأنَّ دأبًا ودؤوباً بمعنى الجدّ والتعب أيضاً، أي اعملوا حتى تتعبوا[4]، ثم حذَّرهم عليه السلام من استهلاك الطعام وأرشدهم إلى كيفية الحفاظ على المؤن الغذائية كي يتدبروا أمرهم ويواجهوا المجاعة التي ستحل بديارهم، ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾، ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾، إذا ما كان هناك التزام حقيقي فيها والتزمتم بالخطة الموضوعة لكم فحينئذ لا خطر يهددكم ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾، أي سيكون هناك موسم يفيض بالخيرات والبركات وتكثر فيه الأمطار، فكان التدبير الاقتصادي لنبي الله يوسف الصديق عليه السلام تدبيراً رائعاً وحاذقاً يصيب الواقع ولا يتعداه قيد أنمله.

الخصائص والمشتركات

كذلك كانت للإمام الكاظم عليه السلام لحامل القرآن إرشادات وتوصيات وخطط ناجحة اقتصادياً للأمة على الرغم من أنه عليه السلام لم يكن على رأس السلطة حتى يستطيع إصلاح الأوضاع الاقتصادية إصلاحاً فعلياً، لذا اكتفى بنشر المفاهيم الإسلامية المتعلقة بالحياة الاقتصادية وتأصيل النظام الاقتصادي الإسلامي في نفوس

١- سورة هود: الآية ١٢٠.

٢- سورة يوسف: الآية١١١.

٣- سورة يوسف: الآية٤٣.

٤- تفسير الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٦، ص٣٠٢.

الأمة، حيث منع الإمام عليه السلام من التبذير للأموال والترف والإسراف، وأوصى أن يراعي المسلم الجانب الاقتصادي بحياته ويسلك سلوك التقدير بالمعيشة، فيكون تصرفه بالأموال بقدر معلوم من دون إفراط ولا تفريط، وله من الأقوال ما يؤكد ضرورة ذلك، حيث جاء عنه عليه السلام: (من اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذر وأسرف زالت عنه النعمة)[٥]، وأيضاً قال عليه السلام: (ما عال امرئ اقتصد)، وأوصى عليه السلام بالجد في طلب الرزق والحذر كل الحذر من الكسل، فقال عليه السلام: (إياك والكسل والضجر فإنهما يمنعاك من حظك في الدنيا والآخرة)[٦]، وقال عليه السلام: (إن الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق)[٧]. وكذلك قوله عليه السلام: (استثمار المال تمام المروة)[٨]، حاثاً المؤمنين على العمل الدؤوب والنشاط المتواصل والجد والاجتهاد في سبيل توفير سبل الحياة السليمة، محذراً من بعض الحالات التي تذر المؤمن فقيراً في الدنيا والآخرة، فقد جاء عن بشير الدهان قال: سمعت أبا الحسن موسى عليه السلام يقول: (إن الله عز وجل يبغض العبد النوام الفارغ)[٩]، كما وأكد عليه السلام على الوقوف عند الشبهات، فهي مرفوضة عند الإمام عليه السلام ليبقى الكسب الحلال الطيب المتيقن هو المتناول لا سواه، فهو يرى أنَّ الحرام فقر مُعجل في الدنيا وحسرة كبيرة يوم القيامة، فكانت له أحاديث كثيرة في ذلك، منها ما نقله عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله في باب المكاسب المحرمة، إذ يقول عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (..إنَّ أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي، هذه المكاسب المحرمة، والشهوة الخفية، والربا..)[١٠]، وعن عبد الحميد بن سعيد قال: بعث أبو الحسن عليه السلام غلاما يشتري له بيضا فأخذ الغلام بيضة أو بيضتين فقامر بها فلما أتى به أكله فقال له مولى له: إن فيه من القمار قال: فدعا بطشت فتقيأ فقاءه[١١].

وعن يونس بن يعقوب، عن معتب قال: كان أبو الحسن عليه السلام يأمرنا إذا أدركت الثمرة أن نخرجها فنبيعها، ونشتري مع المسلمين يوما بيوم[١٢].

ولم يغفل الإمام عليه السلام عن توجيه الناس إلى الجانب الروحي في طلب الرزق، فكان له دعاء يدعو به إذا أصابته فاقة أو عوز: (يا الله: أسألك بحق من حقه عليك عظيم، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن ترزقني العمل بما علمتني من معرفة حقك، وأن تبسط عليَّ ما حظرت من رزقك).

٥- تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني، ص٢٦٩.

٦- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، ج١٦، ص٢٢.

٧- تحف العقول، ص٢٩٠.

٨- المصدر نفسه، ص٢٨٦.

٩- الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ج٥، ص١٢٥.

١٠- مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري، ج ١٣، ص ٦٦-٦٧.

١١- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج٤٨، ص١١٧.

١٢- المصدر نفسه.

الشخصية في القرآن

د.مواهب صالح مهدي الخطيب
مسؤولة وحدة التطوير الفكري والمعرفي
جامعة وارث الأنبياء عليه السلام

إنَّ الشخصية هي التنظيم الدينامي للفرد لتلك الأجهزة الجسمية والنفسية التي تحدد طابعه الفريد في توافقه مع بيئته، فعلماء النفس ينظرون إلى الفرد ككل متكامل يعمل ويستجيب كوحدة تتفاعل فيها جميع أجهزته البدنية والنفسية، وتحدد سلوكه بطريقة يتميز بها عن غيره من الناس، ونجد في القرآن وصفًا للشخصية السوية والشخصية غير السوية، ووصفاً للعوامل المكونة للسواء وعدم السواء في الشخصية، ويمكن تصنيف العوامل المحددة إلى مجموعتين رئيستين:

١. عوامل وراثية: وهي عوامل منبعثة من تكوين الفرد ذاته.

٢. عوامل بيئية: هي عوامل منبعثة من البيئة الخارجية الاجتماعية والثقافية.

إننا لا نستطيع أنْ نفهم شخصية الإنسان فهمًا واضحًا من دون أنْ نفهم حقيقة جميع العوامل المحددة للشخصية سواء كانت بيولوجية أم روحية أم اجتماعية، أما الاقتصار على دراسة العوامل الجسمية البيولوجية والعوامل الاجتماعية فقط واهمال أثر الجانب الروحي في الإنسان فإنَّ ذلك يعطينا صورة غير واضحة للشخصية، فقد أخبرنا الله كيف خلق الله تعالى الإنسان من مادة وروح، فبعد أنْ مَرَّ التراب بمراحل متعددة من التكوين: من تراب إلى طين، إلى حمأٍ مسنون، إلى صلصال كالفخار، ثم نفخ فيه من روحه فخلق آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ *فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[1] إنَّ الإنسان يتضمن في شخصيته صفات الحيوان المتمثلة في الحاجات البدنية التي يجب إشباعها من أجل حفظ الذات وبقاء النوع، كما يتضمن صفات الملائكة المتمثلة في تشوقه الروحي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به وعبادته وتسبيحه، وقد يحدث بين هذين الجانبين من شخصية الإنسان صراع، فتجذبه أحيانا حاجاته وشهواته البدنية، وتجذبه أحيانًا حاجاته الروحية فيشعر الإنسان بالصراع، ويشير القرآن إلى حالة الصراع النفسي بين الجانبين المادي والروحي في قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ طَغَى *وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا *فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى *وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2]، وقد وهب الله الإنسان العقل ليميز بين الخير والشر، كما أمدَّه الله سبحانه وتعالى بحرية الإرادة والاختيار ليستطيع أنْ يبتَّ في أمر هذا الصراع، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[3]، وحينما يختار الإنسان الملذات الدنيوية وينسى ربه واليوم الآخر إنما يصبح في معيشته أشبه بالحيوان، قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[4]، فالإنسان الذي لا يهمه إلا إشباع حاجاته ورغباته يصبح خاضعاً لتوجيه"

١- سورة ص، الآيتان٧١-٧٢.

٢- سورة النازعات، الآيات٣٧-٤٠.

٣- سورة البلد، الآية:١٠.

٤- سورة الفرقان، الآية:٤٤.

نفسه الأمارة بالسوء، قال تعالى: ﴿وَما أُبَرِّئُ نَفْسي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ ما رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحيمٌ﴾[٥]، أما الإنسان الذي يشعر بالذنب ويلوم نفسه على ما فرَّط منها فإنَّه يكون في هذه الحالة تحت تأثير "النفس اللوامة" قال تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ *وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[٦] أما الإنسان الذي حقق التوازن بين مطالبه البدنية ومطالبه الروحية وكانت نفسه في حالة اطمئنان وسكينة فينطبق عليه وصف "النفس المطمئنة" قال تعالى: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ *ارْجِعي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٧].

إنَّ الحل الأمثل للصراع بين الجانبين الروحي والبدني هو التوفيق فيما بينهما، ويشير القرآن إلى ضرورة تحقيق هذا التوازن في الشخصية بقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[٨] وحينما يتحقق هذا التوازن بين الجسد والروح تتحقق ذاتية الإنسان في صورتها الكاملة، والتي تمثلت في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم الذي توازنت فيه القوة الروحية الشفافة والحيوية الجسمية الفياضة.

٥- سورة يوسف،الآية:٥٣.
٦- سورة القيامة ،الآيتان:١-٢.
٧- سورة الفجر،الآيتان:٢٧-٢٨.
٨- سورة القصص، الآية: ٧٧.

الأمثال في البيان القرآني

الحلقة الأولى

سمير جميل الربيعي

ما أروع البيان القرآني حينما يضرب الأمثال ويقرنها بالأمور الحسيَّة - لوقوع المناسبة بينهما -، لتثبيت المعارف وإقرارها في الأذهان وترسيخها في الأفهام بما فيه من المصلحة واللطف الإلهي، والقرآن وإنْ تفرَّد في أمثاله، وجاء بما لم تأت به العرب من الأمثال، إلاّ أنها على تفردها كانت مستمدة من واقعهم، وقد راعى القرآن ذلك على اعتبار أنَّ أغلبهم أميل لامتثال الأدلة الواقعية وأكثر تقبلاً لها لو كانت من صميم حياتهم، فهم يأنسون الأمثال المرتبط بالأشياء الحسية المشاهدة عندهم، وأكثر الأمثال القرآنية عادة ما تكون من هذا النمط، وهي سهلة سريعة الحفظ والنقل، فضلاً من أنها شيِّقة تتفكه بها الأنفس وتتفاعل معها وتتأثر بها؛ لأنها تسعى لإبراز المعقول بصورة المحسوس، فتقرِّب ما بعُد عن الأفهام وشرد عن الأذهان، وقد اعتمد القرآن ثلاثة أساليب في إيرادها، فالأول تأتي الأمثال فيه بلحاظ أفرادها على أن تكون أرادها من الواقع الذي يعيشه الناس، فمثلاً تعلّق الأمثال بأفرادها في العهد المكي على غير ما تعلّقت به في العهد المدني، وقد ترد الأمثال بإسلوب ثانٍ بحسب ما تقتضيه المرحلة، فمرحلة بناء وإرساء العقيدة في (المجتمع المكي) تختلف عن مرحلة التشريع في (المجتمع المدني)، وقد ترد بأسلوب ثالث يُراعى فيه التدرج والترقي في ضرب الأمثال ليحصل للناس التدبر والإدراك ما لم يكونوا معاندين للحق رافضين له، وللبيان أكثر نشرع في تفصيل كل أسلوب على حدة زيادة في الفهم والإيضاح، أما الأول فإنَّ القرآن دقيق في انتقاء أفراد الأمثال التي يضربها، فهو يختارها من البيئة التي نزل فيها القرآن، فمثلاً حينما يريد أن يخبر المجتمع المكي عن قدرة الله وبديع خلقه فإنه يتخذ من الإبل مثالاً على ذلك ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[1]، باعتبار أن المجتمع المكي مجتمع بدوي والإبل من مفردات حياتهم وبيئتهم، وهم أعلم بها وأدرى بما خصَّها الله من الخصال

١- سورة الغاشية، الآية ١٧.

وبما شملها من المنافع، مسخرة بأيديهم يصرفونها كيف شاؤوا، فيركبونها ويحملون عليها أثقالهم إلى بلاد بعيدة لم يكونوا بالغيها إلا بشقِ الأنفس، فما أكثر جهدها وأيسر مؤونتها، معدة لحمل الأثقال تبرك لتحمل وتنهض بما تحمل، وهذه خاصية تتفرد بها دون غيرها من الدواب، وهذه الحيوانات بعجيب خلقتها أدعى للمكيين وللعرب الذين ألفوا ألفوها وعرفوها للتأمل والتفكر في خلق الله وبديع صنعه، وحين يضرب القرآن مثالاً في المجتمع المدني فإنه يختار مفردات المثال من واقعهم الذي غلب عليه طابع المدينة واشتغالهم بالزراعة فيأتي المثل متوافقاً مع ما ألفوه ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، هذا ما يخصُّ اختيار القرآن لأفراد الأمثال القرآنية ومناسبتها لمحل التمثيل، ننتقل إلى الأسلوب الثاني فقد ضرب الله الأمثال بحسب ما تقتضيه المرحلة، ففي مرحلة الإرساء وبناء الشريعة (المرحلة المكية) نجد أنَّ الأمثال القرآنية في هذه المرحلة تدور مدار معالجة الأدواء والأمراض الاجتماعية التي ابتلي بها المجتمع المكي ومكافحة فساد العقيدة (الشرك وعبادة الأصنام) من جانب، وإرساء العقيدة الإسلامية الجديدة من جانب آخر، فقد اعتمد فيما تقتضيه المرحلة في ضرب الأمثلة التي تسفّه أحلام المشركين وعباداتهم وتدعوهم إلى الإيمان بالله وحده وتَرك عبادة غيره، والإيمان باليوم الآخر، فقد شبَّه القرآن الكريم اتخاذهم من دون الله أرباباً كمثل العنكبوت التي اتخذت من النسيج الواهي بيتاً لها، والواقع إن هذا البيت لا يغني عنها من حرٍّ أو برد ولا يجلب لها منفعة أو يدفع عنها مفسدة إذ لا يظهر أدنى مقاومة أمام النسيم الهادي، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3]، فلنتأمل في روعة هذا التشبيه ودقة هذا المثال في مقصده، فهو يريد أن يبّين عدم واقعية من تعلقت حباله بغير الله تعالى واتخذ من دونه أرباباً، فهو أقرب إلى خيبة الأمل وضلالة السعي؛ لأنه ما يلبث أن ينهار به ما اعتمد عليه ولا يثبت ما تمسَّك به، ولا يبلغ ما تأمَّله، ولا ينال بعمله بُلغتَه وإن اجتهد فيه، وحظه من ذلك كله التفريط فهو ينسج من خيوط العنكبوت ثياباً لا تُلبس، ﴿يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾[4] ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾[5].

أما ما يخصُّ الأمثال ذات الطابع المدني من فئة الأسلوب الثاني فقد عالجت الأدواء الخُلُقية مكان الشرك والوثنية وإفرازاتها، إذ إنَّ المجتمع المدني ابتلي بفئتين خطيرتين على الإسلام والمسلمين، الفئة الأولى هي فئة المنافقين وهي عبارة شريحة متخفية من سكان المدينة مردوا على النفاق، قد ابتلي بهم رسول الله ﷺ والمؤمنون، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[6]، وفئة اليهود بطوائفهم المختلفة وهؤلاء أهل مكر وخداع وخيانة، وهاتان الفئتان وإن كانتا تحملان نفس الهدف في نَصب العداء للإسلام ومحاربته ومحاولة القضاء عليه إلا أن منهج كُلٍّ منهما يختلف عن الأخرى، لذا اقتضى تعرُّض القرآن بتمثيلاته للمنافقين غير تعرُّضه بتمثيلاته لليهود ناظراً إلى حالة كل منهما، فالمنافقون مهزوزون من الداخل خائفون يتربصون بأنفسهم أنْ تدور بهم الدائرة فيكشف أمر نفاقهم، لذا كان من المناسب أنْ يشبههم بهذا المثل القرآني ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[7]، فشبَّه حالهم بحال من هو تحت المطر والرعد والبرق يخاف أن يخلع صوت الرعد قلبه أو أن تصيب الصاعقة أمَّ رأسه فيهلك من ساعته، وكذا هؤلاء يخافون أن ينزل الله فيهم قرآناً يكشف حال نفاقهم فيستوجبون بذلك القتل والاستئصال. لذا فهم على وجل دائم وخوف لا ينقطع، ويتوقعون في أي لحظة انكشاف أمرهم وافتضاح حالهم، فتراهم يضعون أصابعهم في آذانهم كلما نزلت آية قرآنية خوفاً من أنْ يسمعوا لعنهم بآذانهم، ومن هنا جاءت نكتة تشبيههم في المثل القرآني بأولئك الذين يضعون أصابعهم بآذانهم خشية صوت الصواعق وحذر الموت ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾.

أما ما يخصُّ الأمثال التي نزلت بحق يهود المدينة، فهؤلاء يحملون العلم باعتبارهم من أهل الكتاب وهم أعلم الناس بالرسول المنتظر وسماته، لكنهم لم يرضخوا لما عندهم من المعرفة وجحدوا ما عرفوه. لذا شبههم الله بالمثل القرآني بالحمار الذي يحمل أسفاراً قيّمة من العلم من دون أن يستفيد منها، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[8]، وهناك فئة ثالثة غير المنافقين واليهود وهي شريحة وإن كانت لا تحمل أهداف الفئتين اللتين سبقتاها، ولكنها فئة ابتليت بأمراض أخلاقية ولم يتغلغل الإيمان إلى قلبها، ولم تأخذ أبعاد الإيمان أثرها في سلوكها وتصرفاتها، فكل ما تأتي به وإن كان ظاهره المعروف وعمل الخير، إلا إنه في حقيقته عمل مشوب بالمن والأذى أو هو عمل ليس خالصاً لله، بل هو رئاء الناس وطلب مرضاتهم، وهؤلاء شبه القرآن عملهم بالتراب الذي على صفوان وشبه مَنَّهم بوابل المطر، فمتى ما أصاب الوابل التراب الذي على الصفوان أذهبه وترك الصفوان صلداً أملساً لا ينبت عليه النبات، عندها لا يمكن أنْ يُفادَ منه، وكذا عملهم لا يمكنهم أن ينتفعوا منه ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[9]، إن الأمثال التي ضربها القرآن أراد بها من الضمير والعقل البشري أن يستيقظ ويُعمل طاقاته فيتوجه نحو ما يفيد ويمنع الضرر حقاً، لا أن يلبد وراء خيوط العنكبوت الواهية، وأراد منه أن يعلم أن من بيده الخلق والرزق والإحياء والإماتة والحساب والثواب والعقاب، هو الأحق والأجدر بالعبادة والتعظيم والتّنزيه والتّقديس وطلب المدد منه سبحانه وتعالى.

أما الأسلوب الثالث (أسلوب التدرج والترقي في ضرب الأمثال) فسوف نتركه إلى حلقة قادمة لضيق المقام ومن الله التوفيق.

٢- سورة البقرة، الآية ٢٦١.
٣- سورة العنكبوت، الآية ٤١.
٤- سورة الحج، الآية ١٢.
٥- سورة الحج ، الآية ١٣.
٦- سورة التوبة، الآية ١٠١.
٧- سورة البقرة، الآية٩.
٨- سورة الجمعة، الآية ٥.
٩- سورة البقرة، الآية ٢٦٤.

الرفض القرآني للكذب

القرآن الكريم ذلك المشروع الإلهي الكبير للإصلاح وبناء الإنسان والعودة به إلى الفطرة السليمة، واجتثاث كل ما من شأنه أنْ يحول دون ذلك من صفات مذمومة تبتعد به عن السلوك الحَسَن

عامر عزيز الأنباري

الكذب من المساوئ التي تتسبب بالضرر الكبير على الفرد والمجتمع، والنصوص القرآنية تبين مدى فداحة اللجوء إلى الكذب ودناءة مقترفيه، وكيف أنَّ الكذب من الصفات الملازمة للكافرين والمنافقين، فالكذب يَحْرُم على المسلم إلا في مواضع. من هذا المنطلق يأتي النص القرآني ليُبيّن عَبْر عرض المشهد الحِواري الذي يتَّسم بالتهديد والوعيد في إنذار الكافرين، وتحذيرهم من مغبة التمادي في اتهامهم للنبي ﷺ بالكذب كما ورد في قوله تعالى: ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾[1] إنَّ ما يرمون به حامل الرسالة ما هو إلا إسراف منهم في العِداء ومحاولة لزعزعة ثقة وبقين المسلمين الأوائل بنبيّهم ﷺ، والقرآن الكريم يردُّ عليهم بقوة أكبر ليعزز الثقة في نفوس المسلمين، مؤكّداً على أنَّ مساعي الكافرين في الافتراء والكذب لا قيمة لها: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[2]، ويتضح أنَّ الكذب يجري في دماء الكافرين والمشركين مجرى الدم في العروق، ويبقى هو ديدنهم ليس في عالم الدنيا فحسب، بل حتى في يوم القيامة يوم وقوفهم بين يدي الله (جل وعلا)، فالكذب لا يفارقهم فهم بحالة مخزية من الانحطاط والحيرة للخلاص من غضب الجبار، ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم﴾ قلبٍ لا يعرف الزيف والنفاق والكذب طريقاً إليه، يقول سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[3]، فالشرك يشن حربه الإعلامية ويمارس الحرب النفسية - كما يعبر عنه في المصطلحات الحديثة - قبل خوضه المواجهة

١- سورة القمر، الآيتان: ٢٥-٢٦.
٢- سورة النحل، الآية: ١٠٥.
٣- سورة المجادلة، الآية: ١٨.

العسكرية واستخدام القوة بغية القضاء على الدعوة في مهدها بممارسة الكذب والافتراء ورمي النبوة وحاملها بالكهانة والسحر والجنون، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[٤]، وتتنوع النصوص القرآنية بحسب مقتضيات الخطاب سعياً إلى ترسيخ الرفض التام للكذب، ووجوب سُموّ الفرد المسلم عن اتخاذه ذريعة للوصول إلى تحقيق أهداف دنيوية زائلة، وكما أنَّ الكذب هو مما يتسم به الكافرون في الوصف القرآني– كما ذكرنا- فهو من سمات اليهود الذين يدَّعون أنَّ عزيراً بن الله، وسمات النصارى بادعائهم أنَّ المسيح بن الله كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[٥]، ويستمر المنهج التربوي للقرآن الكريم بغية تهذيب المجتمع المسلم وتنقيته من هكذا صفةٍ ذميمةٍ بعرضه لمساوئ المنافقين الذين اعتادوا الكذب على الناس وإظهارهم خلاف ما يبطنون من كراهية وحقد على الإسلام والمسلمين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۘ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[٦]، ونظراً لما يُشكّله المنافقون من خطورة على المجتمع المسلم في كل زمانٍ ومكانٍ نجد أنَّ الآيات القرآنية تكون على أشدّها في تعرية المنافقين وبيان الكيفية التي هم عليها من الكذب باستمرار، فهم أكثر من يلجأ إلى الكذب وأسرع من يقع في شراكه ويُفتضح به، ويجرُّهم الكذب لاتخاذ أساليب مختلفة من الرياء والتخفّي والتستر بادعاء انتمائهم للمجتمع المسلم وهم أبعد ما يكونون عنه، فهم يُصلّون مع المسلمين ويبنون مسجداً يدّعون أنهم إنما يريدون التعبد به، وحقيقة الأمر أنه أقيم للتآمر على الإسلام والمسلمين، وكم لدينا من الشواهد المشابهة في عالمنا اليوم مما يفعله أرباب التكفير من اتخاذهم المساجد ثكناتٍ لتشويه معالم الدين، والنيل من تعاليمه في الرحمة والتسامح، ويتخذون من دور العبادة منطلقاً لتنفيذ هجماتهم الدموية بحق الأبرياء العُزَّل من المسلمين، فهم يهدمون الدين باسم الدين يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٧]، وكما ورد في الآية فهم يحلفون كذباً زيادةً في المكر والخديعة، وتخلُّصاً من الحرج أو من أنْ يفتك بهم المسلمون بسبب تآمرهم على الإسلام وهم يعيشون بين المسلمين، والله تبارك وتعالى يُحذّر من هذه الأنماط الخبيثة وعدم الانخداع بهم وبأَيْمانهم، فينبغي الاحتياط من أمثالهم ومراقبة سلوكياتهم بحذر مخافة استغلالهم الفرص المتاحة لتحطيم بنية المجتمع الصالح، يقول تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٨]، ويستمر القرآن الكريم في برنامجه التربوي فيعدُّ الكذب من الفسوق، يؤكد ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٩]، وكما ذكرنا في المقدمة أن هناك مواضع يُسوّغ فيها الكذب وردت في السنة النبوية الشريفة بقدر ما يستدعيه إصلاح ذات البين، كذلك في معارك الدفاع عن الإسلام ودفع الشر عن المسلمين، فكما ورد عن الإمام عليٍّ عليه السلام فإنَّ ﴿الحرب خدعة﴾[١٠]، كذلك في مقام التقية ودرأ الأذى والحيلولة دون الفتك بالمسلم، ودفع الظالمين يقول عليه السلام: ﴿احلف بالله كاذباً ونجّ أخاك من القتل﴾[١١]، كما يجوز الكذب على الزوجة استمالةً لها ولعواطفها، فمن الملاحظ أن خلو النصوص القرآنية من هكذا استثناءات قد يكون فيه الحكمة من الله سبحانه كي يخلق القرآن الكريم جواً عاماً رافضاً للكذب، ولا يعطي أدنى مجال للفرد المسلم في الكذب على أخيه المسلم وحتى غير المسلم إلا بقدر ما يُسوّغ الشارع المقدس كما ذكرنا من استثناءات.

هكذا يتضح لنا كيف أنّ القرآن الكريم يُنَفِّر من ارتكاب الكذب كونه آفةً أخلاقيةً، وله تأثيراته وأضراره البالغة على الفرد والأسرة والمجتمع، فهو يُشوّه شخصية الفرد ويفكك الأسرة، وينخر جسد المجتمع ويمزق شرائحه، ويؤدي استفحاله إلى تعقيد الحياة بسبب انعدام الثقة فيما بين أفراده، وهو أول المنزلق لارتكاب الخطايا والآثام، يؤكد ذلك قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿الكذب يهدي إلى الفجور﴾[١٢]، و﴿لا يجد العبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب﴾[١٣]، فلقد روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ﴿جُعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحه الكذب﴾[١٤]، فالكاذب ملعون حتى في المزاح يقول صلى الله عليه وآله: ﴿لُعن الكذاب ولو كان مازحاً﴾[١٥]، وينبغي للعاقل ألا يكون كاذباً فإمامنا الكاظم عليه السلام يقول: ﴿إن العاقل لا يكذب﴾[١٦].

٤- سورة الذاريات، الآية: ٥٢.
٥- سورة التوبة، الآية: ٣٠.
٦- سورة المنافقون، الآية ١.
٧- سورة التوبة، الآية: ١٠٧.
٨- سورة المنافقون، الآية: ٢.
٩- سورة الحجرات، الآية: ٦.
١٠- بحار الأنوار، المجلسي، ج١١٠، ص٣٥٩.
١١- الوافي، الفيض الكاشاني، ج١٦، ص١٠٦٩.
١٢- الأمالي، الشيخ الصدوق، ٥٠٥.
١٣- الكافي، الشيخ الكليني، ص٣٤٠.
١٤- بحار الأنوار، المجلسي، ج٩، ص ٢٦٣.
١٥- صراط النجاة (تعليق الميرزا التبريزي) -السيد الخوئي- ج٥، ص٢٣٠.
١٦- الوافي، ج١، ص٩٣.

حديث الملائكة للمرأة
في قَصص القرآن

رغد عزيز

اشتمل القصص القرآني على تفاصيل كثيرة ومنها تلك التي اشتملت على ذكر قصص النساء، وبين غموضٍ وتوضيح تحتدم أحداثها لتلفت الأفهام إلى إشاراتٍ تتعلق بالمرأة وأحوالها، سواء على المستوى العام الذي يشمل جميع النساء، أو المستوى الشخصي المتعلّق بالشخصية التي تناولتها القصة، ولا مِراء في أنَّ جميع ما ذكر على مستوى عالٍ وقدر كبير من الأهمية، غير أننا نختص بمقالنا هذا بحديث الملائكة مع المرأة، كونه يشرح بإيضاح جلي تلك المكانة الرفيعة والمقام السامي الذي خصَّها بها الباري عز وجل، وما أنْ نشرع باقتباس الأمثلة يحضر على شفة القلم ذكر السيدة مريم عليها السلام وقصة حديث الملائكة معها، والذي جاء ذكره في محكم كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1]، ويُفْهَم من سياق الآية الكريمة أنَّ الملائكة قد كلّمت السيدة مريم عليها السلام بشكل مباشر ليبلّغوها بُشْرى رحمة الله جل وعلا إليها إذ اصطفاها وطهرها على نساء العالمين (كلموها شفاها لأنها كانت محدثة تحدثهم ويحدثونها)[2]، ومن خلال القصة القرآنية يتضح لنا أنَّ الحديث لم يقتصر على بشرى الاصطفاء فحسب، وإنما تكرر معها وفقاً للمواقف التي مرت بها، فضلاً عن الفيوضات الإلهية التي مَنَّ الله تعالى بها عليها، إذ تلا بشرى الاصطفاء حديث آخر حمل لها بشرى أخرى بينت لها وللعالمين إلى يوم الدين حق قدرها عند الله تعالى إذ اختارها من دون النساء جميعاً لتحمل نبيه وتكون آية من آياته التي تتجلى بها للخلق قدرته المُطْلقة، حيث بشَّرتْها الملائكة بحملها بالسيد المسيح عليه السلام الوجيه بين أهل الأرض والسماء والمقرب لله تعالى، حيث حدَّثتها الملائكة قائلة لها: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾[3]،

١- سورة آل عمران، الآية٤٢.

٢- التفسير الصافي: الفيض الكاشاني، ج١، ٣٣٥.

٣- سورة آل عمران، الآية ٤٥.

ولم يقتصر الحديث على ذلك فحسب وإنما زادته تفاصيل أخرى بناءً على استهجانها عليها السلام للحمل والولادة من دون زواج ليكون حديثاً متسلسلاً تحقق فيه السؤال والإجابة كما بينه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

وفي مسار القصة ذاتها توضح سورة مريم تفاصيل أخرى في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[5]، وعلى الرغم من أنَّ سياق الحديث في الآية الكريمة يفهم منه المباشرة بين السيدة مريم عليها السلام والمولى عز وجل غير أنَّها عليها السلام لم تصل إلى هذه الرتبة والمنزلة وإنما كان خطابها موجّهًا للمولى عز وجل كونها تدرك بعقيدتها الراسخة إنما كلام الملائكة هو كلام الله عز وجل، وهذا ما أشار إليه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (قدس سره) حيث قال: (إنَّ خطاب الملائكة وخطاب الروح وكلامهم كلام الله سبحانه، فقد كانت تعلم أنَّ الذي يكلمها هو الله سبحانه، وإنْ كان الخطاب متوجهًا إليها من جهة الروح المتمثل أو الملائكة، ولذلك خاطبت ربها)[6]، ويؤكد صحة ذلك القول جواب (الروح) لها بما أمره الله تعالى أن يجيبها به عن تساؤلها: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[7]. لم يكن الحديث محصوراً بذات الاصطفاء فقط، وإنما شمل اللواتي بلغن من درجات الإيمان والكمال مبلغاً حسناً، وأخص في هذا السيدة سارة زوجة نبي الله إبراهيم عليه السلام التي حدثتها الملائكة لتبشرها بمولودها الذي شاء الله أنْ ترزق به بعد أنْ قضت سنين عمرها تعاني العقم، حيث جاء في التفاسير عن قصتها: (إنَّ الله بعث أربعة أملاك بإهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكروبيل، فمروا بإبراهيم وهم متعمّمون فسلموا عليه فلم يعرفهم، ورأى هيأة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء إلا أنا بنفسي، وكان صاحب أضياف، فشوى لهم عجلاً سميناً حتى أنضجه ثم قربه إليهم، فلما وضعه بين أيديهم: ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾، فلما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم فقال له أنت هو؟ قال: نعم، ومرَّت امرأته سارة ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾، قالت: ما قال الله وأجابوها بما في الكتاب)[8] والذي هو قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ* قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ* قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[9].

هكذا قد وضَّحَ حديث الملائكة وجْهاً من أوجه تكريم الله تعالى للمرأة، وإعطائها مكانتها التي تستحق بموجب ما تبذله من طاعةٍ لله تعالى، منبثقة من عُمْق إيمانها بوحدانيته وعقيدتها الراسخة بها.

٤- سورة آل عمران، الآية ٤٧.

٥- سورة مريم، الآيات١٦ - ٢١.

٦- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ج٣، ص ١٦٨.

٧- سورة مريم، الآيات ١٦ - ٢١.

٨- تفسير العياشي: محمد بن مسعود العياشي، ج٢، ص١٥٣.

٩- سورة هود، الآيات ٧١ – ٧٣.

ـ الجبت والطاغوت ـ

الجبت

إنّ هذه الكلمة مأخوذة من كلمة جابه العبرية، ثمّ قلبت الهاء في العربية تاءً مع تغيير في الهيأة، ومعناه المتكبر الذي ضعف عقله والذي لا يبالي ما يقول وهو المتعجرف، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[1]. فالجبت كالطاغوت ليس علمًا و لا اسمًا للصنم، ولا يدلُّ على الساحر أو الكاهن، بل يدلُّ على مطلق من كان متكبرًا لا يبالي، ولا يتوجه إلى الحق، وليس له من الكبرياء إلا التظاهر، فهو يدَّعي ما ليس له، ويقول من دون عمل، ويتظاهر بما ليس فيه، فلفظُ الجبت يشمل من كان بهذه الصفة من مُدَّعي علم ومعرفة، ومن صاحب مال وملك، ومن أمير وسلطان وحاكم، و ممن له عنوان وشهرة، ومن يدعو الناس إلى نفسه بغير استحقاق وبرهان، ويؤيد هذا المفهوم مادة جبَّ بمعنى التجمُّع، والجبخ والتجبُّر و التجبُّس، بمعنى التكبّر[2].

الطاغوت

إنَّ الأصل الواحد في المادة: هو الارتفاع والتجاوز عن الحد المتعارف، ماديًّا أو معنويًّا، وبهذه المناسبة تطلق الطغية والطغوة على رأس الجبل، وعلى مكان مرتفع، للتجاوز والاعتلاء عن الاعتدال والنظم، فالارتفاع الخارج عن حد النظم والاعتدال: هو المناط. فالطغيان إمّا في الموضوعات الخارجية: كما في: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْماءُ حَمَلْناكُمْ فِي الْجارِيَةِ﴾[3] أو في النفس بأي سبب كان: كما في: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى﴾[4]، ﴿اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى﴾[5] ففي الأولى بواسطة الاستغناء، وفي الثانية بالقدرة والتسلّط، وإمّا في الضلال والانحراف والجهل: كما في: ﴿رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَلكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾[6] يشير إلى أنَّ طغيانه كان في مورد الضلال، فهو طغى في الضلال والانحراف عن الحق: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[7] ولا يخفى أنّ المعنى الجامع في منشأ الطغيان هو الاستغناء: وهو يتصور على أنحاء، فكلما كان الاستغناء في سعة يكون الطغيان شديدًا، والاستغناء إمّا في جهة المال والثروة، وإمّا من جهة العنوان والمقام والشخصيّة، وإمّا من جهة القدرة والنفوذ والسلطنة، وإمّا أن يكون بلحاظ الجهل والغفلة والمحجوبيّة عن الجلال والعظمة الإلهيّة وعجز ذاته. الفقيرة، وغيرها من الأسباب والعلل الموجبة للطغيان، ثمّ إنّ الطغيان كما أنّه يتصوّر أن يكون في نفس الضلال والجهل، بأن يشتدّ الضلال أو الجهل بحيث يعتلى ويرتفع على الحقّ والعلم حتّى يتحصّل الطغيان فيه: كذلك يتصوّر بأن يكون سببًا للطغيان المطلق، فيكون الاستغناء في هذه الصورة على تصوّر الطاغي وتخيّله الباطل، وجهله التامّ، وإنْ كان الضلال أو الجهل موجودا في جميع الصور في الجملة، كما أنّ التمايل إلى الحياة الدنيا من آثار الطغيان المطلق: فإنّ النفس إذا ارتفع وتجاوز عن حدّه المعروف، فقد يتحصّل له الخروج عن الاعتدال ويتحقّق له الانكسار والانحطاط والمحروميّة عن عالم النور والمعرفة، فيتمايل إلى عالم الدنيا والظلمة: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغى وَآثَرَ الْحَياةَ الدُّنْيا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوى﴾[8]. ﴿هذا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾[9]. ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ﴾[10] الطاغية اسم فاعل كالعاتية، والمراد ذكر وسيلة الهلاكة كما في الريح الصرصر، والطاغية التي تطغى من صيحة أو رجفة أو بليّة أخرى، وأمّا سبب الهلاكة فهو التكذيب الذي ذكر قبلها- كذّبت ثمود وعاد بالقارعة، ولا يبعد أن تكون في ذكر الطاغية إشارة أيضاً إلى نفوسهم الطاغية وصفة الطغوى فيهم، فتكون الطاغية أعمّ من الوسيلة والسبب.

وقد جمعت الصفتان في آية ١٢/ من سورة الشمس: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْواها إِذِ انْبَعَثَ أَشْقاها﴾ فأشار تعالى إلى التكذيب الحاصل من الطغوى المتحصّل في النفس. وقلنا إنّ الطغيان يوجب الانحطاط وسقوط الإنسان عن عالم النور والروحانيّة إلى الدنيا، ويلازم هذا تكذيب ما وراء المادة، و ينتهي إلى الكفر المطلق، ﴿فَما يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْياناً كَبِيراً﴾[11] ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْياناً وَكُفْراً﴾[12]. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾[13]. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾[14]. ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوها﴾[15] الظاهر أنّ هذه الصيغة من صيغ المبالغة، وهي مأخوذة من صيغة فاعل، من مادة الناقص الواوىّ، من طغا يطغو، فهو طاغ، وزيدت التاء للمبالغة كما في علّامة وراوية، ويقال إنّ أصلها طغيوت فأبدلت الياء مكان الغين وصارت ألفا، وعلى أي حال فالطاغوت من اشتدّ طغيانه وتجاوز عن الحقّ، ويكون مظهرًا للدنيا والباطل، فهو في مقابل الله الحقّ، فتشمل هذه الكلمة على من يكون بهذه الصفة من الجنّ أو الإنس، والشيطان من أظهر مصاديق الطاغوت، وبعده من يدعو إلى نفسه من أي شخص كان: من سلطان ظالم، وعالم متظاهر بالدنيا والعنوان، وغني متوغّل في الثروة والمال، ورئيس مترأس محبّ للرئاسة، فالطاغوت هو الشيطان ومظهره ممّن يسدّ عن سلوك طريق الحقّ ويمنع عن السير والتوجّه إلى الله العزيز المتعال، وهو الذي يعلو في جهة الدنيا المادية والتمايلات النفسانيّة، ويتجاوز عن صراط الله، وهو يناسب أن يتولّى أمور الكافرين المعرضين عن الحقّ- أولياؤهم الطاغوت، فظهر أنّ الطاغوت هو المستغني المستكبر، وليس له في الحقيقة غناء وكبرياء، وأمّا الجاهلون وأهل الدنيا إنّما يتوجّهون إلى الظاهر المتظاهر. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾[16] قلنا إنّ الطاغوت هو المتجاوز عن الحدّ بالاستغناء والاستكبار، وأمّا الجبت سبق أنّه المتكبر المتظاهر بالعلم و العقل وليس كذلك، وكلّ منهما في قبال الحقّ العزيز الحي القيّوم[17].

١- سورة النساء ،الآية ٥١.
٢- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن المصطفوي، ج٢، ص:٤٥
٣- سورة الحاقة ،الآية١١.
٤- سورة العلق،الآية٦.
٥- سورة طه ،الآية٢٤.
٦- سورة ق ،الآية:٢٧.
٧- سورة الأعراف، الآية ١٨٦.
٨- سورة النازعات، الآية٣٧.
٩- سورة ص، الآية٥٥.
١٠- سورة الحاقّة، الآية:٥.
١١- سورة الإسراء، الآية٦٠.
١٢- سورة المائدة،الآية٦٤.
١٣- سورة البقرة،الآية٢٥٦.
١٤- سورة البقرة،الآية٢٥٧.
١٥- سورة الزمر، الآية١٧.
١٦- سورة النساء، الآية٥١.
١٧- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، : حسن المصطفوي، ج٧، ص: ٨٥.

حقوق الإنسان
على وفق الشريعة الإسلامية

د.خمائل سامي / قسم علوم القرآن
الجامعة المستنصرية / تخصص أصول الدين

يُعدُّ موضوع حقوق الإنسان في الإسلام من الموضوعات الحيوية المهمة؛ إذ يدور حول الضمانات الإنسانية المهمة للبشر باختلاف أجناسهم، والتي أقرَّها الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان مضت في احترامه لحقوق الفرد وآدميته إذ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[1]، ثم قيدت الشريعة الإسلامية استعمال الأفراد لحقوقهم بمراعاة مصلحة الغير، وعدم الإضرار بالجماعة ، فليس للفرد مطلق الحرية في استعمال حقه، على خلاف الحقوق في الشرائع الوضعية التي تقرر الحريات بكل شؤون الحياة بشكل مطلق، حتى لو فيها أذى للفرد نفسه وللجماعة.

مصادر حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية

ونذكر الآن أهم وأبرز مرجعيات ووثائق حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية

الوثيقة الأولى: القرآن الكريم

يُعدُّ القرآن الكريم الوثيقة الإسلامية الأولى التي أسست حقوق الإنسان من خلال إظهاره لمفهوم الاستخلاف والتكريم والإيمان والعمل، والذي يفضي إلى الحرية والمساواة والعدل والشورى، فأول إعلان لحقوق الإنسان كان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[2]، ولأن تكريم الآدميين هو أصل الحقوق الإنسانية في الشريعة الإسلامية ووفق الشرائع كلها فإنَّ مفهوم الكرامة الإنسانية هو أهم ما يميز الإنسان من سائر المخلوقات، وينبغي على الإنسان فهمها واحترامها وشكرها، إذ وهبها الخالق له من دون الإشارة إلى دينه أو لونه أو عنصره كما جاء في نص الآية الكريمة من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[3].

الوثيقة الثانية: السنة النبوية

تُعدُّ المصدر الثاني لأحكام الشريعة الإسلامية، من حيث الإشارة إلى الحقوق والواجبات الإنسانية تأكيداً لما جاء في القرآن الكريم من حيث الأقوال والأفعال والتقريرات التي حددت من النبي محمد ﷺ، والذي بينه الباحثون: (تأكيداً لما جاء في القرآن الكريم تفصيلًا وبيانًا لأحكامه ومبادئه، والمسلمون ملزمون بالرضوخ لتلك الأحكام عملًا بنصوص القرآن الكريم)[4]، وهناك وثائق كثيرة عقدها النبي ﷺ مثل صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، وخطبة الوداع في السنة العاشرة، ونذكر هنا الصحيفة التي تعد إنشاء أول كيان إسلامي والخطوة الأولى لإنشاء الحقوق المدنية والاجتماعية في الإسلام فيها عقدها النبي ﷺ مع أهل المدينة بعد هجرته واستقراره فيها سنة ٦٢٢هـ ، متضمنة على ٥١ بندًا مشتملة على أهم حقوق الإنسان، فكانت هذه دعوة من رسول الله ﷺ إلى بطون القبائل التي كانت موجودة آنذاك ليجتمعوا ويتفقوا على مبادئ سامية منها: إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ...، وإنَّ ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وإنَّ المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنَّ من تبعنا من يهود فإنَّ له النصر والأسوة غير مظلومين لا متناصَر عليهم، وإنكم مهما اختلفتم في شيء فإنَّ مرده إلى الله وإلى محمد، وإنَّ يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم، وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم، وإنَّ الجار كالنفس، غير مضار ولا آثم)[5]، ولا ننسى أنَّ هناك مصادر أخرى كثيرة مثل: العقل، والإجماع، وغيرها.

١- سورة الإسراء: الآية ٧٠ .
٢- سورة الإسراء، الآية ٧٠.
٣- سورة الحجرات: الآية ١٣.
٤- الحقوق في الإسلام، عز الدين الخطيب التميمي ص٨٧.
٥- سيرة ابن هشام، ومجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الحيدر ابادي، طبعة القاهرة – ١٩٥٦م.

غربة موحشة

زينب حسين

ظلام دامس.. وحدة ووحشة.. غربة وخوف داخل غرفة مهجورة محكمة الإغلاق، جدرانها متهالكة وأثاثها قديم، ورفوفها مُغبرّة صُفَّت عليها كتب رثَّة، وهيمن على أرجائها نسيج العنكبوت الواهن، فزادها رعباً وألماً، وكأنها بيت للأشباح أو طامورة مخفية.

أَحْسَست وكأنني جُزْءٌ منها قابعٌ في إحدى زواياها المتروكة أو أحد كتبها المهجورة، فصرخت عالياً وَجَلْجلْت: أين أنا؟ ولماذا أنا هنا؟ هل يسمعني أحد؟ أرجوكم أخرجوني من هذا المكان الموحِش، فلم يرجع لي سوى صدى صوتي المختنق، أيعقل بأنني مِتُّ وانتقلت إلى عالم البرزخ وهذا هو قبري؟ أو أحدٌ ما قد اختطفني وأودعني هنا في هذه القفار؟ لا أدري أنا، لا أتذكر شيئاً، فعقلي عاجز تماماً عن التفكير من هول الموقف.

فَتَّشْتُ في ثيابي الرثة الممزقة وإذا بهاتفي ما زال موجوداً في أحد جيوبي، فتوهَّج في عقلي بصيص أمل، وأخذت أتصل على زوجتي مراراً فلم تُجبْني، وباءت محاولاتي بالفشل وأنا أتصل بأبنائي وبناتي الواحد تلو الآخَر لكن من دون جدوى، وجرَّبت الاتصال بأقربائي وأصدقائي وطلاَّبي ومرضاي والنتيجة كانت واحدة، وكأنَّ الكل قد أعرضوا عني وتركوني وحيداً هنا، خنقتني العبرات، وقَفزتِ الدموع من عيني، وسَقطْتُ على الأرض ساجداً مناجياً: يا إلهي أغثني لقد دفنوني حياً وأنا لا أقوى على الحبس والوحدة والهجران.

وبينما كنت أجهش بالبكاء والنحيب كالأطفال وإذا بشاب حَسَنِ الوجه ولكنه مُغبرٌّ وَرَثُّ الثياب، والحزن بادٍ على وجهه، قد وقف أمامي ينادِيني باسمي، فقلت له: من أنت؟ وكيف تعرفني؟ ولماذا أودعتني هنا؟ هل أنت أحد طلابي الذين أدرّسهم في الجامعة؟ أم من المرضى الذين أعالجهم؟ أم أحد الخاطفين وقد جئت لتساومني على ثروتي؟

فقال متبسماً ومعاتباً: أنت تعرفني جيداً وتحفظ اسمي!! فلماذا نسيتني وتركتني وتخلَّيت عني وهجرتني؟ فأنا أستاذك الذي أعلِّمك مختلف العلوم كما تُعلِّم طلابك، وأنا طبيبك الذي أشافيك من جميع أمراضك كما تعالج المرضى وتصف لهم علاجهم، وأنا ولي أمرك الذي أُربّيك وأرعاك وأحفظك كما ترعى زوجتك وتربّي أولادك وتحنو عليهم وتحفظهم، وأنا ذُخْرك وذخيرتك الحقيقية في الدارين لا التي تسعى أنت من أجل كسبها وجمعها، أترى كيف كان طعم الهجران والغربة والوحشة؟ إنه أمرٌ من الحنظل أليس كذلك؟، فمن أقسى لحظات الحياة أنْ يتركك كل الذين من حولك ويتخلَّون عنك على الرغم من احتياجهم لك واحتياجك لهم؛ لأنك تشعر بأنك حيٌّ وما زلت قادراً على العطاء، فكيف بي وأنا أعاني من الهجران الدائم من قبلك؟ لياليَ وأياماً شهوراً وسنينَ وقد مضى بك العمر وأنت مشغول عني لم تأبه لوجودي داخل غرفتك، قابع في خزانتك التي أقفلتها عليَّ وحبستني فيها مع باقي كتبك التي لم تعاملني أسوة بها، وقد تراكم الغبار عليَّ، وبُليت أوراقي، واصفرَّت وتهالكت من كثرة هجرانها، فإنْ لم تستنقذني مما أنا فيه فسأشكو بثي وحزني إلى الله تعالى وإلى الذي أوصاك فيَّ خيراً وأمرك بالتمسُّك بي وعدم هجراني، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾[1].

رنّ صوت المنبه عالياً ليوقظني وينهي تلك الرحلة المؤلمة، وتلك الحالة المزرية التي عشتها بأدق تفاصيلها، لقد كان كابوساً فضيعاً ولكنه لُطْفٌ من الرحمن وتحذيرٌ لي على تسويفي وتضييعي لكتابه الكريم وهجراني له، فأسرعت نحو خزانتي لأُخرج الحبل الذي سينجيني من كل هول عظيم، وأزلتُ عنه التراب واعتذرت إليه كثيراً لسوء معاملتي ولهجراني له، وجعلته أمامي، وبين يديَّ، لأرى أنواره التي بها يطمئن قلبي، وتُذهب ظلمتي، وأنسى هجران قومي بِوَصْلِهِ وتعاهده، وعاهدته أن لا أتركه يوماً فهو نعم الصاحب على الوحشة، والأنيس في الغربة.

١- سورة الفرقان، الآية ٣٠.

ظاهر القول وزُخرفه
وسيلة المضلّين

ميادة قهرمان

غالباً ما يَعْمَد المرء المغترّ برأيه أو الغارق في أوحال نفسه الأمّارة بالسوء إلى الخروج للمجتمع بمظهر خادع للعيان، أو بمعنى آخر نراه يتستَّر خلف ستار أُسلوبه اللفظي البرّاق ويخالف واقع أفعاله ليخدم غاياته الدنيوية مثل طلب الجاه أو الرئاسة أو غير ذلك، لذا فإنَّ التحذير القرآني للمؤمنين صريح من اتباع مثل هكذا سلوكيات مقيتة إذ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

ومن نماذج السلوكيات المغايرة للدين في الأقوال والأفعال هي أقوال ورسائل الدُّعاة من أهل النفاق ضعاف النفوس أمثال دعاة داعش التكفيري، الذين برعوا ببثّ أفكارهم الهدّامة في أوساط بعض الشباب المجتمعي، فقد دَسّوا السُّم بالعسل وتحدثّوا باسم الدين واستمالوا عقول العديد من أفراد المجتمع ممن يمتلكون أرضيةً فكريةً عقائديةً هشّة، وسَخّروهم لخدمة مآربهم الدنيئة في أرض الإسلام، لذا فإنَّ الأخذ بأوامر ونواهي كتاب الله العزيز في كل زمان تعني حصانة أفكار وسلوكيات المجتمعات عبر تهيئة أبناءٍ واعين مؤمنين في المجتمع يميّزون بين القول الصالح من غيره المطابق لفعال المتصدّر له، فلا ينخدعون بظاهر القول وزخرفه ذاك الذي حذَّرت منه الآيات الكريمة كما في قوله سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾[2]، وقد جاء في تفسير هذه الآية الكريمة: (إنه قد وصف تعالى حال المنافقين، فقال: "ومن الناس من يعجبك" يا محمد "قوله": في الظاهر، وباطنه بخلافه "ويُشهِدُ الله عز وجل على ما في قلبه وهو ألد الخصام" جدل مُبطل، وفق قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾)[3]، وكما أظهر كتاب الله العزيز أيضاً سبل الاستعلام السليم لمعرفة دِقّة وصحة آراء الآخرين، من خلال النظر إلى نمط سياق قولهم والتي جاءت في لفظَتي ﴿لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ كما في قوله تعالى:﴿وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[4]، والتي جاء في تفسيرها: ﴿نعم لقد كانت قلوب هؤلاء مملوءةً غيظاً وحقداً شديداً على النَّبي ﷺ والمؤمنين، وكانوا يتحيَّنون الفرص لإنزال الضربة بهم، فهنا يحذِّرهم القرآن بأنْ لا يظنُوا أنّ بإمكانهم أنَّ يخفوا وجههم الحقيقي دائماً﴾[5]، ولا خلاف في أمر أن الأنبياء والمرسلين والأولياء عليهم السلام جميعهم تعرضوا للعداء من أصحاب القول المنمّق من أهل الضلال من عِداة البشر والجن إذ جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[6]، ولا ننسى أيضاً أنَّ القرآن الكريم صريح في تبيان خاتمة هذه الفئة الضّالّة مجتمعياً المنزوية خلف ستار القول الزائف البعيد عن المصداقية، إذ بشّرهم بعاقبة القبع في ظلمات فكرهم البائد وقولهم الخادع المتزيّن للعيان حيث موضع الظلمة التي اعتنقوها فكرياً، فقد جاء عن الله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾[7].

١- سورة الصف، الآيتان ٢- ٣.
٢- سورة البقرة: الآية ٢٠٤ .
٣- التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي ج٢، ص١٧٨.
٤- سورة محمد، الآية ٣٠.
٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، ج١٦، ص٣٨٦.
٦- سورة الأنعام، الآية ١١٢.
٧- سورة البقرة، الآية ١٧.

ذرية يعقوب عليه السلام

القسم الثالث

الشيخ طه العبيدي

جعل الله تعالى في ذرية يعقوب عليه السلام الأنبياء ومن طريقين:

الأول: من لاوي[1]، وفيها موسى[2] الكليم وهارون من عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام. إن لاوي بن يعقوب نكح نابتة بنت ماوي بن يشجر، فولدت له عرشون ومرزى ومردى وقاهث، وولد للاوي قاهث بعد أن مضى من عمره ست وأربعون سنة، فنكح قاهث بن لاوي قاهي بنت مبنير بن بتويل بن إلياس فولدت له يصهر، وتزوج يصهر شمبت بنت بتاويت بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له عمران وقد مضى من عمره ستون سنة، وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة، فنكح عمران بن يصهر نخيب بنت إشموئيل بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له هارون وموسى، واختلف في اسم أمهما، فقيل نخيب، وقيل: أفاحية، وقيل: بوخائيد وهوالمشهور، وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة، وولد له موسى وقد مضى من عمره سبعون سنة، ونحوه ذكر ابن الأثير في الكامل[3]. وقد ذكر أن موسى بن عمران وكل أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب[4]. وأن وصي موسى الكليم عليه السلام وفتاه هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام.

الثاني: من يهودا، خضروم، دام، عمياد، ممشون، ياعر، سلمون، عويل، ايشا، ساقط، يوزان، غربا، يونام، خارقا،

١- ولد ليعقوب عليه السلام لاوي وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة/ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٣ص٥.

٢- واسم أم موسى: لوخا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب / خلاصة عبقات الأنوار، السيد حامد النقوي، ج٨ص٣٤٩.

٣- ينظر بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج١٣ص٥.

٤- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ج٩ص٥١٣.

ميشك، اومودر، ارشا، يوحنا، ساليان، بابل، ربّ، أبي هود، العاذر، ماثان، عمران، مريم، عيسى[٥].

وقيل: نبي الله عيسى عليه السلام يصل إلى يهودا بالطريق الآتي:

عيسى وأمّه مريم بنت عمران بن ماثان بن العازار بن أبي يوذ بن رب بابل بن ساليان بن يوحنّا بن أوشيا بن أموذ بن مشكي بن حارقار بن أجاز بن يونام ابن عرزيا بن يوزام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عومل بن أينا بن سلمون بن ياعر بن يخشون بن عمياد بن رام بن خضروم بن فارص بن يهودا بن يعقوب عليه السلام[٦].

علم نبي الله يعقوب بحياة يوسف عليه السلام

لما ابتلى الله تعالى نبيه يعقوب بفقدان ولده يوسف عليه السلام وإنه أحب إخوته إليه، وعلمه بأنه ذو شأن عظيم، تضاعف حزنه وكثر همه، على الرغم من أنه كان يعلم بحياته إلا أن الفراق فعل فعلته فيه عليه السلام حتى ذهب بصره من كثرة البكاء على يوسف عليه السلام، وكان بين الحين والآخر يسأل ملك الموت عنه فيعلم أنه على قيد الحياة. سئل الإمام الباقر عليه السلام عن حال نبي الله يعقوب عليه السلام حين قال لبنيه عند ذهابهم لمصر قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ..﴾[٧]، كان عالماً بأنه حي؟ قال: نعم. قال كيف؟ قال: كان يهبط عليه ملك الموت فيسأله: هل مرّ بك روح يوسف؟ قال: لا، فيعلم أن ولده يوسف حي لم يمت[٨].

٥- تفسير مقتنيات الدرر، مير سيد علي الحائري الطهراني (المفسر)، ج٢ص١٨٦.

٦- زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني، ج١ص٤٧٦.

٧- سورة يوسف: الآية ٨٧.

٨- ينظر قصص الأنبياء، قطب الدين الراوندي، ج١ص٣٤٧.

الشيخ محمود الكرخي
في ذمّةِ الله

حسين محيي الطائي

ولادته ونشأته

ولد الشيخ محمود شاكر محمد الكرخي في مدينة بعقوبة بديالى، إحدى المحافظات العراقية بتأريخ الخامس والعشرين من شهر صفر المظفّر من عام ١٣٨٥ للهجرة المطابق للخامس والعشرين من آيار من عام ١٩٦٥ للميلاد، دخل المدرستين الابتدائية ثم المتوسطة في مدينته بعقوبة، ثم دخل معهد إعداد المعلمين وتخرج فيه عام ١٩٨٤ للميلاد، فعُيّن معلمًا في المدارس الابتدائية في بعقوبة لمدة سبع سنين، ثمَّ ترك الوظيفة لظروف خاصة.

درس العلوم الشرعية في بعقوبة وبغداد على مشايخ كرام[١]:

- قرأ عند الشيخ عبد المنعم بن صفاء الدين القادري بعض المتون في الفقه الحنفي بجامع الفاروق ببعقوبة.

- درس على الشيخ "محمد بن محمد صالح" الشافعي الكردي إمام جامع الأورفلي وخطيبه في المقدادية، فقرأ عليه وأجازه إجازة عامة.

- قرأ على يد الشيخ جلال الحنفي البغدادي ولازمه لمدة تزيد عن عشر سنين فقرأ عليه مختلف العلوم الشرعية والآلية، وكتبه في التجويد وأجازه بذلك.

- درس عند الشيخ محمد طاهر البرزنجي الشافعي الكردي الإمام والخطيب والمدرس في جامع الخاصكي ببغداد، فدرس عليه مختلف العلوم وأجازه بذلك.

١- يُنظر: مقال منشور عن المُترجم له في موقع ملتقى أهل الحديث.

دراسته القرآن الكريم والقراءات

عُرف عن المرحوم المغفور له أنَّه كان أستاذًا للقراءات العشر الكبرى والصغرى، وقد حضر عند الملا جواد الجميلي وقرأ عليه القرآن الكريم أكثر من عشر ختمات، وتعلَّم التجويد من الشيخ جمال الدين العزاوي أحد طلاب الشيخ السيد بن حسن ندرين المصري المنتدب للإمامة والخطابة في جامع الفاروق، وقرأ القرآن ختمة كاملة برواية حفص من طريق الشاطبية على الشيخ محمد المصري إمام جامع كنعان، ثم انتقل إلى بغداد فقرأ على الشيخ المقرئ الحاج صفاء حمدي الأعظمي الحنفي القراءات السبع بمضمن الشاطبية والتيسير فأجازه بذلك من طريق شيخه الحاج عبد القادر الخطيب بأسانيده، وقرأ القراءات العشر الصغرى من طريق الدرة على الشيخ المقرئ أبي قدس مهدي بن عبد علي المعماري عن طريق شيخه عبد اللطيف الصوفي الموصلي، وقرأ حفصًا من طريق الطيبة على الشيخ المقرئ علي دريول الأزرقي البغدادي أحد طلاب الشيخ محسن الطاروطي فأجازه بها وبالعشر الصغرى.

إجازاته في القراءات المختلفة

لقد حصل على إجازات بقراءات مختلفة ومن أساتذة وقرّاء مختلفين هم:

١. إجازة بقراءة عاصم من الشيخ عبد الكريم الزبيدي، عن عبد القادر الخطيب.

٢. إجازة برواية حفص عن عاصم من الشيخ أبي أنس محمد صالح السامرائي.

٣. إجازة في القراءات العشر من الشيخ محمود أمين طنطاوي.

٤. إجازة بالقراءات العشر الكبرى من الشيخ المقرئ محمود بن عبدو نصرة الحلبي.

٥. إجازة بقراءة عاصم من الشيخ أبي أحمد حسن بن مصطفى الوراقي المصري.

٦. إجازة برواية حفص من الحاج المقرئ علاء الدين القيسي.

إجازاته العامة الصادرة إلى بعض المشايخ والقرّاء الكرام

١. السيد حيدر سعد هندي الكاظمي قرأ عليه العشر الكبرى والصغرى.

٢. الأستاذ المهندس المقرئ أحمد محمد سامي الجنابي، قرأ عليه العشر الصغرى.

٣. الأستاذ مصطفى العبيدي قرأ عليه العشر الصغرى.

مؤلفاته

١. تحفة الفضلاء بترجمة الشيخ صفاء القادري.

٢. الدر الموصوف في شرح صفات ومخارج الحروف.

٣. تاريخ قرّاء بعقوبة.

٤. لقط الدرر في تاريخ جامع الشابندر.

٥. شخصيات بعقوبة بالاشتراك مع الشيخ الدكتور عدنان الربيعي.

٦. وغيرها من البحوث والمقالات المنشورة في الصحف والمجلات.

عُرف عن الشيخ بأنّه كان محبًّا لآل بيت رسول الله ﷺ وخطاطًا وأستاذًا للمقامات القرآنية

وحكمًا دوليًّا في المسابقات القرآنية الدولية المقامة في الجمهورية الإسلامية الإيرانية وعضوًا في المجمع التقريبي بين الأديان، وترأس في مرحلة من عمره رابطة القرّاء والمجودين فرع ديالى.

رثاه العديد من المشايخ والقرّاء، منهم:

المؤسسة القرآنية العراقية (القارئ الدكتور رافع العامري): ببالغ من الحزن والأسى يتقدم قرّاء وأساتذة وموظفو المؤسسة القرآنية العراقية التي أسسها ويرعاها سماحة السيد حسين السيد إسماعيل الصدر (دام ظله) بأحر التعازي إلى كل محبي القرآن الكريم برحيل الأستاذ العلامة المحكم الدولي ورئيس رابطة تجمع القرآني في ديالى ومجيز القراءات العشرة وفي علم التجويد وخبير في المقامات القرآنية الشيخ محمود الكرخي الذي وافاه الأجل ٢٠١٨/٥/٦، كما ونبعث بالتعزية مواساة إلى أهله ومحبيه داعين له بالمغفرة والرضوان.

الأستاذ فراس الطائي وهو تلميذ الكرخي: محمود الكرخي مجرَّة أهل العراق في الأسانيد والروايات، وفي الكثير من العلوم المرتبطة بالقرآن الكريم، ولن أغالي إن قلتُ هو شجرة متعددة الثمار، سمح النفس، سمح الأخلاق، لا تعرف نفسه الحقد أو الغلّ، ليّن الطبع، مجلسه غنيمة، تغمده الله بواسع رحمته ومغفرته.

السيد حيدر سعد هندي الكاظمي وهو تلميذ الكرخي: درست وأُجزت منه وتعلمت التجويد والقراءات والمقامات والأنغام والأصوات وعلم الإجازة والإسناد وعلم الابتداء والوقف، أعطاني الحياة والروح والإيمان بكتاب الله تعالى، فكان أعز الأخوان لي في السبب لا النسب، رحم الله شيخي وأستاذي الذي عاشرته سنين طويلة جدًا وكنت مقربًا إليه في كل أمور حياته وأدق تفاصيل مكنونات بقائه وحامل سره وعلمه، لك مني شيخي الكرخي وفاءً وإجلالًا واحترامًا لروحك الطاهرة ختمة قرآنية كل شهر ما بقيت حيًا نيابة عنك، كلنا لله راجعون والبقاء لله.

والكثير والكثير من تلامذته الذين أصبحوا الآن من أساتذة تعليم القرآن الكريم وقرّائه.

توفي الشيخ محمود الكرخي إثر جلطة دماغية أدخلته في الغيبوبة لثلاثة أيام ومن ثم أودع هذه الحياة الفانية تاركًا همومه وغمومه التي لطالما كان يعيشها بين أهله، ليلقى ربه الكريم.

يعلن

دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية المقدسة

عن استئناف دورة أحكام التلاوة والتجويد

بإشراف

القارئ الدولي الدكتور رافع العامري

يومي الإثنين والأربعاء ٥.٣٠ عصراً

في قاعة دار القرآن الكريم في الصحن الكاظمي الشريف

فعلى الراغبين مراجعة الدار لتسجيل أسمائهم